اَلْقَوَاسِمُ اَلْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ عِلْمِ اَلْبَلَاغَةِ وَالدَّعْوَةِ اَلْإِسْلَامِيَّةِ

" اَلْجُزْءُ اَلْأَوَّلُ "

إعـــداد

أ . د / صَالِح أَحْمَدْ عَبْدِ اَلْوَهَّاب

أُسْتَاذُ اَلْبَلَاغَةِ وَالنَّقْدِ فِي كُلِّيَّةِ اَلْبَنَاتِ اَلْأَزْهَرِيَّةِ

بِالْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَان

وَوَكِيلُ كُلِّيَّةِ اَلْعُلُومِ اَلْإِسْلَامِيَّةِ لِشُئُونِ اَلتَّعْلِيمِ وَالطُّلَّابِ

اَلْبَرِيدُ اَلْإِلِكْتِرُونِيُّ: Saleh.AbdElwahab@ azhar.edu.eg

١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م

ملخص البحث

اِرْتَبَطَ عِلْمُ اَلْبَلَاغَةِ مُنْذُ نَشْـأَتِهِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اَللَّهِ؛ فَفِي حُضْـنِ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ نَشَـأَتْ اَلْبَلَاغَةُ اَلْعَرَبِيَّةُ، وَفِي رِحَابِ اَلْبَيَانِ اَلنَّبَوِيِّ سَطَعَ نُورُهَا، وَعَلَى يَدِ أَسَاطِينِ اَلْعَرَبِ آتَتْ أُكُلَهَا وَأَيْنَعَتْ ثِمَارُهَا وَفَاقَتْ أَقْرَانَهَا مِنْ اَلْبَلَاغَاتِ اَلْأُخْرَى اَلْيُونَانِيَّةِ وَالْفَارِسِـيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ، وَتَهْدِفُ هَذِهِ اَلْوَرَقَةُ اَلْبَحْثِيَّةُ إِلَى اَلْكَشْـــفِ عَنْ عَلَاقَةِ اَلْبَلَاغَةِ بِالدَّعْوَةِ، وَالدَّاعِيَةِ ، وَالْخِطَابِ اَلدَّعْوَيِّ ، ضِـمْنَ مَشْـرُوعٍ بَلَاغِيٍّ يَهْدِفُ إِلَى رَبْطِ اَلْبَلَاغَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ بِالْمُجْتَمَعِ وَالْمُسَـاهَمَةِ فِي حَلِّ مُشْـكِلَاتِهِ وَعِلَاجِ أَدْوَائِهِ؛ مِنْ خِلَالِ بَحْثِ اَلْقَوَاسِـمِ اَلْمُشْـتَرَكَةِ بَيْنَ اَلْبَلَاغَةِ وَالدَّعْوَةِ، وَصِنَاعَةِ اَلدَّاعِيَةِ ، بِدَايَةً مِنْ اَلْحَدِيثِ عَنْ هَيْئَتِهِ اَلَّتِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا وَتَمَامِ آلَةِ اَلْبَيَانِ عِنْدَهُ ، وَالْعُيُوبِ اَلْمُخِلَّةِ بِفَصَـــاحَتِهِ ، وَمُرُورًا بِالْحَدِيثِ عَنْ مُلَاءمَةِ اَلْمَقَامِ وَمُرَاعَاةِ أَحْوَالِ اَلْمُسْـــتَمِعِينَ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَانْتِهَاءً بِالْحَدِيثِ عَنْ وَسَـائِلِ اَلْإِقْنَاعِ اَلْبَلَاغِيِّ فِي اَلْخِطَابِ اَلدَّعْوِيِّ– كَالْإِقْنَاعِ اَلْمَنْطِقِيِّ ، وَالْبُرْهَانِيِّ ، وَمَبْدَأِ اَلْقِيَاسِ، وَالْإِقْنَاعِ اَلْعَاطِفِيِّ ، اَلْقَائِمَ عَلَى اَلِاسْـــتِخْدَامِ اَلْوَاعِي لِلُّغَةِ ؛ مِنْ خِلَالِ بَعْضِ اَلْمَبَاحِثِ اَلْبَلَاغِيَّةِ؛ كَالتَّشْـــبِيهِ، وَالْمَجَازِ، وَتَجَاهُلِ اَلْعَارِفِ، وَالْمَذْهَبِ اَلْكَلَامِيِّ ، وَرَدِّ اَلْعَجُزِ عَلَى اَلصَّدْرِ ، وَالطِّبَاقِ ، وَالْمُقَابَلَةِ . . . إِلَخْ – ثُمَّ بَيَانِ غَايَةِ اَلْإِقْنَاعِ اَلْخَطَابِيِّ ، وَشَمِلَ اَلْحَدِيثَ عَنْ اَلْإِمْتَاعِ وَالْإِقْنَاعِ وَالِاسْتِمَالَةِ وَالِانْخِرَاطِ وَالتَّغْيِيرِ . .

اَلْكَلِمَاتُ اَلْمِفْتَاحِيَّةُ : اَلْبَلَاغَةُ – اَلدَّعْوَةُ – صِنَاعَةُ اَلدَّاعِيَةِ – اَلْخِطَابُ اَلدَّعْوِيُّ – اَلْإِقْنَاعُ اَلْبَلَاغِيُّ .

اَلْمُلَخَّصُ بِاللُّغَةِ اَلْإِنْجِلِيزِيَّةِ

Persuasive Rhetoric … Means and Ends Saleh Ahmed Abd El – Wahab The Department of Rhetoric & Criticism , Faculty of Girls , 10 th of Ramadan , Al – Azhar University , Egypt . E – mail : Saleh . AbdElwaha @ azhar . edu . eg . Summary : It is known that persuasive speech influences the addressee , such influence necessitates putting the case of the addressee into consideration , matching the speech to him and investigating the proofs and evidence . We glimpse from what preceded the influential persuasive role that Arabic Rhetoric plays ; the aim behind the persuasive speech is not showing its eloquence and what it includes from secrets , proofs and evidence hidden behind such sort of speeches from inviting the addressee to surrender if he is an opponent , and from doubt to certainty if he is hesitant , and from refusal to acceptance if he is refusing . The research aims at touching the minute differences between the rhetoric means and ends that distinguish Arabic rhetoric in the Abbasid Era from other eras and detect the factors of its growth and flourishing . Keywords : Rhetoric – Persuasion – Abbasid Era – Means – End .

المُقَدِّمَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . . . اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُسْنَ اَلِاسْتِمَاعِ وَحُسْنَ الفَهْمِ اَلْإِفْهَامِ ، وَخَيْرَ اَلْقَوْلِ وَخَيْرَ اَلْعَمَلِ .

وَبَعْدُ . . . فَلَا أَشُكُّ . . . وَلَا يَشُكُّ غَيْرِي مِنْ اَلْمُنْصِفِينَ . . . أَنَّ اَلدُّعَاةَ هُم اَلْعَمُودُ اَلْفِقْرِيُّ لِأَيِّ تَقَدُّمٍ مُجْتَمَعِيٍّ وَإِصْلَاحٍ خُلُقِيٍّ؛ فَهُمْ أَكْثَرُ اَلنَّاسِ اِحْتِكَاكًا بِالْمُجْتَمَعِ، بَلْ أَكْثَرُ اَلنَّاسِ مَعْرِفَةً بِخَوَاصِّـــهِ وَدَوَاخِلِهِ، وَلَيْسَ هَذَا عَنْ حَدْسٍ وَتَخْمِينٍ، بَلْ عَنْ مُلَازَمَةٍ وَمُكَاشَـفَةٍ وَمُخَالَطَةٍ وَتَجْرِبَةٍ وَمُشَـاهَدَةٍ؛ فَالْمَوْضُـوعَاتُ اَلدَّعْوِيَّةُ اَلَّتِي يُفْرِزُهَا اَلْوَاقِعُ اَلْمُعَاشُ خَيْرٌ مِنْ اَلْقَوَائِمِ اَلْمُعَدَّةِ سَلَفًا وَالْمَوْضُوعَاتِ اَلْمُكَرَّرَةِ اَللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتُ مَطْلَبَ حَيَاةٍ وَحَاجَةَ مُجْتَمَعٍ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ فَضْـلِ اَللَّهِ عَلِي _ وَلَمْ يَزَلْ – أَنْ عَمِلْتُ بِالدَّعْوَةِ إِمَامًا وَخَطِيبًا فِي وِزَارَةِ اَلْأَوْقَافِ بَعْدَ اَلتَّخَرُّجِ، ثُمَّ مُحَاضِـرًا لِأَئِمَّةِ اَلْأَزْهَرِ وَوُعَّاظِهِ، وَهُوَ شَـرَفٌ أُفَاخِرُ بِهِ وَأُبَاهِي . . . فَبَيْنَ رِحَابِ اَلدَّعْوَةِ وَالْبَلَاغَةِ نَشَـــأْتُ؛ فَأَنَا بَلَاغِيٌّ غَلَبَ عَلَيْهِ اَلطَّابَعُ اَلدَّعْوِيُّ ، وَدَعْوِيٌّ غَلَبَ عَلَيْهِ اَلطَّابَعُ اَلْبَلَاغِيُّ . . . وَلَمَّ لَا ؟ وَعِلْمُ اَلْبَلَاغَةِ قَدْ اِرْتَبَطَ مُنْذُ نَشْـأَتِهِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اَللَّهِ؛ فَفِي حُضْـنِ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ نَشَـأَتْ اَلْبَلَاغَةُ اَلْعَرَبِيَّةُ، وَفِي رِحَابِ اَلْبَيَانِ اَلنَّبَوِيِّ سَـطَعَ نُورُهَا، وَعَلَى يَدِ أَسَـاطِينِ اَلْعَرَبِ آتَتْ أُكُلَهَا وَأَيْنَعَتْ ثِمَارُهَا وَفَاقَتْ أَقْرَانَهَا مِنْ اَلْبَلَاغَاتِ اَلْأُخْرَى اَلْيُونَانِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ، وَلَعَلَّ فِي هَذِهِ اَلْوَرَقَةِ اَلْبَحْثِيَّةِ مَا يَكْشِفُ عَنْ عَلَاقَةِ اَلْبَلَاغَةِ بِالدَّعْوَةِ، وَالدَّاعِيَةِ، وَالْخِطَابِ اَلدَّعْوِيِّ.

وَتَأْتِي هَذِهِ اَلْوَرَقَةُ اَلْبَحْثِيَّةُ ضِمْنَ مَشْرُوعٍ بَلَاغِيٍّ يَهْدِفُ إِلَى رَبْطِ اَلْبَلَاغَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ بِالْمُجْتَمَعِ وَالْمُسَاهَمَةِ فِي حَلِّ مُشْكِلَاتِهِ وَعِلَاجِ أَدْوَائِهِ؛ مِنْ خِلَالِ رَبْطِ اَلْبَلَاغَةِ بِالدَّعْوَةِ، وَبَيَانِ مَا يُمْكِنُ أَنْ تُسْـهِمَ بِهِ فِي اَلْحَقْلِ اَلدَّعْوِيِّ ، بِدَايَةً مِنْ اَلْخِطَابِ وَمُرُورًا بِالدَّاعِيَةِ وَانْتِهَاءً بِالْمُتَلَقِّي وَجُمْهُورِ اَلْمُتَابِعِينَ؛ وَلِذَا جاءت هَذِهِ اَلْوَرَقَةُ اَلْبَحْثِيَّةُ في ثَلَاثَةِ أجزاء..

وقد عالجتُ في "الجزءِ الأوَّلِ" من هذا المشْرُوعِ البحثي " القواسمَ المشتركةَ بين البلاغة والدعوة" على وعدٍ- إنْ كان في العمر بقية- أن أســـتكملَ هذه الفكرةَ في الأعدادِ القادِمة من هذه المجلَّةِ العلميَّةِ الفَتيَّة؛ مجلة كلية الدعوة الإســـلامية بجامعة الأزهر.

أَمَّا اَلْمُقَدِّمَةُ : فَهِيَ لِأَهَمِّيَّةِ اَلْمَوْضُوعِ ، وَالدَّافِعِ إِلَيْهِ، وإشكاليَّةِ البحث.

وأمَّا المَطلبُ الأوَّلُ: فقد شمل قضيةَ الإعجاز القرآنيّ وأثرها في الدعوة.

وأمَّا المطلبُ الثاني: فقد تحدثت فيه عن قضية التأويل وأثرها في الدعوة.

وأمَّا الخاتمة: فقد جاءت في أعقاب الدراســة موضــحة أهم النتائج والتوصــيات التي اشتمل عليه البحث.

وَبَعْدُ . . . فَالْحَمْدُ للَّهُ عَلَى مَا وَفَّقَ وَأَعَانَ، وَالصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ عَلَى سَـيِّدِنَا رَسُـولِ اَللَّهِ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ اَلْكِرَامِ .

الأستاذ الدكتور

صالح أحمد عبد الوهاب

أستاذُ البلاغةِ والنقدِ في كليَّةِ البناتِ الأزهريةِ بالعاشرِ من رمضانَ

ووكيلُ كليةِ العلومِ الإسلاميَّةِ للطلابِ الوافدين

جامعةُ الأزهرِ – مصر.

٢٠٢٢م

https://www.youtube.com/channel/UCSUJyz_yZLfFHnc9wyFoKiQ

اَلْمَطلبُ اَلْأَوَّلُ:

اَلْقَوَاسِمُ اَلْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ اَلْبَلَاغَةِ وَالدَّعْوَةِ " قضية الإعجاز القرآني"

هَلْ هُنَاكَ قَوَاسِمُ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ اَلْبَلَاغَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ .... لَعَلَّكَ تَتَسَاءَلُ أيُّها الداعيَّةُ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اَللَّهِ؟

وَالْإِجَابَةُ تَسْتَلْزِمُ أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى مَقَاصِدِ عِلْمِ اَلْبَلَاغَةِ وَمَقَاصِدِ اَلْخِطَابِ اَلدَّعْوِيِّ أَوَّلاً، كَمَا تَتَطَلَّبُ اَلِاعْتِمَادَ وَالِاسْتِنَادَ فِي اَلْبَحْثِ إِلَى نُصُوصِ أَهْلِ اَلْعِلْمِ ثَانِيًا؛ إِذْ لَا مَقَاصِدَ بِدُونِ نُصُوصٍ، وَأَوَّلُ مَا يُطَالِعُنَا مِنْ قَوَاسِمَ مُشْتَرَكَةٍ بَيْنَ اَلْبَلَاغَةِ وَالدَّعْوَةِ ما يلي:

أَوَّلاً : اَلْكَشْفُ عَنْ وُجُوهِ اَلْإِعْجَازِ اَلْقُرْآنِيِّ:

مَقَاصِدُ اَلْعُلُومِ هِيَ غَايَاتُهَا اَلْمَنْشُودَةُ وَآمَالُهَا اَلْمَعْقُودَةُ، وَمَقْصِدُ عِلْمِ اَلْبَلَاغَةِ اَلَّذِي صُدَّرَتْ بِهِ اَلْكُتُبُ وَتَعَاقَبَتْ عَلَيْهِ اَلْحِقَبُ هُوَ اَلْكَشْفُ عَنْ وُجُوهِ إِعْجَازِ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ، فَكَانَتْ مُدَارَسَتُهُ تَعَبُّدًا، وَالْبَحْثُ فِي وُجُوهِ اَلْإِعْجَازِ تَقَرُّبًا؛ يَقُولُ اَلْعَلَوِيُّ : " وَأَعْلَمَ أَنَّهُ يُرَادُ لِمَقْصِدَيْنِ : اَلْمَقْصِدُ اَلْأَوَّلُ مِنْهُما : مَقْصِدٌ دِينِيٌّ ، وَهُوَ اَلِاطِّلَاعُ عَلَى مَعْرِفَةِ إِعْجَازِ كِتَابِ اَللَّهِ وَمَعْرِفَةِ مُعْجِزَةِ رَسُولِ اَللَّهِ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذْ لَا يُمْكِنُ اَلْوُقُوفُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِإِحْرَازِ عِلْمِ اَلْبَيَانِ، وَالِاطِّلَاعِ عَلَى غَوْرِهِ، فَإِنَّ هَذَا اَلْعِلْمَ لَمِنْ أَشْرَفِ اَلْعُلُومِ فِي اَلْمَنَقِّبَةِ، وَأَعْلَاهَا فِي اَلْمَرْتَبَةِ، وَأَنْوَرِهَا سِرَاجًا وَأَوْضَحِهَا مِنْهَاجًا، وَأَجْمَعِهَا لِلْفَوَائِدِ، وَأَحْوَاهَا لِلْمَحَامِدِ، وَمَعَ مَا اِشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ اَلْفَضَائِلِ نَخُصُّ هَذَا اَلْمَوْضِعَ بِذِكْرِ فَضِيلَتَيْنِ تَدُلَّانِ عَلَى غَيْرِهِمَا مِنْ سَائِرِ فَضَائِلِهِ : اَلْفَضِيلَةُ اَلْأُولَى: أَنَّ اَلرَّسُولَ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ – مَعَ مَا أَعْطَاهُ اَللَّهُ مِنْ اَلْعُلُومِ اَلدِّينِيَّةِ ، وَخَصَّهُ بِالْحِكَمِ وَالْآدَابِ اَلدُّنْيَوِيَّةِ، لَمْ يَفْتَخِرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ فَلَمْ يَقُلْ: أَنَا أَفْقَهُ اَلنَّاسِ، وَلَا أَنَا أَعْلَمُ اَلْخَلْقِ بِالْحِسَابِ وَالطِّبِّ ، بَلْ اِفْتَخَرَ بِمَا أَعْطَاهُ اَللَّهُ مِنْ عِلْمِ اَلْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، فَقَالَ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ :" أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ " ، وَقَالَ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ : " أُوتِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ قَبْلِي أَحَدٌ ؛ كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ

وَأَسْوَد ، وَأُحِلَّتْ لِي اَلْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي اَلْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدِي مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ اَلْكَلِمِ " اَلْفَضِيلَةُ اَلثَّانِيَةُ : أَنَّهُ لَوْلَا عُلُوّ شَأْنِهِ ، وَارْتِفَاعُ قَدْرِهِ ، لِمَا كَانَ خَيْرُ كُتُبِ اَللَّهِ اَلْمُنْزَلُ عَلَى أَفْضَلِ أَنْبِيَائِهِ إِعْجَازُهُ مُتَعَلِّقًا بِهِ، فَإِنَّ اَلْقُرْآنَ إِنَّمَا كَانَ إِعْجَازُهُ مِنْ أَجْلِ مَا اِشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ اَلْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَلَمْ يَكُنْ إِعْجَازُهُ مَا اِشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْبَاءِ اَلْغَيْبِ، وَلَا مِنْ اَلْحِكَمِ وَالْمَوَاعِظِ وَغَيْرِهَا مِنْ اَلْأَوْجُهِ.(١)" (٢)

ولذا كان اَلتَّعَرُّفُ عَلَى وُجُوهِ إِعْجَازِ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ حَاجَةُ كُلِّ إِمَامٍ وَدَاعِيَةٍ وَمَطْلَبُ كُلِّ مَبْلَغٍ عَنْ اَللَّهِ، فَبِإِعْجَازِهِ تَصدُقُ نُبُوءَةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَمِنْ خِلَالِ القرآن الكريم كانت اَلتَّشْرِيعَاتُ اَلْإِلَهِيَّةُ وَالْمُعْتَقَدَاتُ الدِّينيَّة، وَمِنْ هُنَا كَانَ من الضروري أَنْ يَتَعَرَّفَ اَلدَّاعِيَةُ أَسْبَابَ عِنَايَةِ اَلْبَلَاغِيِّينَ بِهَذَا اَلْمَقْصِدِ حَتَّى صَارَ هُوَ اَلْأَشْهُرُ وَالْأَعْرَفُ فِي مَقَاصِدِ اَلْبَلَاغَةِالعربية، بَلْ وَصَلَ اَلْأَمْرُ أَنَّ جَعَلُوهُ مِنْ تَعْرِيفَاتِ عِلْمِ اَلْبَلَاغَةِ، فَالْبَلَاغَةُ عِنْدَ اَلْعُلْوِيِّ: " اَلْعِلْمُ اَلَّذِي يُمْكِنُ مَعَهُ اَلْوُقُوفُ عَلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ اَلْإِعْجَازِ؛ لِأَنَّ اَلْإِجْمَاعَ مُنْعَقِدٌ مِنْ جِهَةِ أَهْلِ اَلتَّحْقِيقِ عَلَى أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى اَلِاطِّلَاعِ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقَائِقِ اَلْإِعْجَازِ وَتَقْرِيرِ قَوَاعِدِهِ مِنْ اَلْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ إِلَّا بِإِدْرَاكِ هَذَا اَلْعِلْمِ وَإِحْكَامِ أَسَاسِهِ" (٣)

وقد شَغَلَتْ قَضِيَّةُ اَلْإِعْجَازِ اَلْقُرْآنِيِّ عُقُولَ اَلْمُفَسِّرِينَ وَالْمُحْدِثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفُقَهَاءِ، وَبَذَلُوا فِي ذَلِكَ اَلنَّفْسَ وَالنَّفِيسَ، وَصَرَفُوا إِلَى ذَلِكَ اَلْهِمَمَ اَلْعَوَالِي، فَتَفَاوَتَتْ أَقْدَارُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ بِمِقْدَارِ عِلْمِهِمْ وَإِحَاطَتِهِمْ بِوُجُوهِ إِعْجَازِهِ حَتَّى عُدَّ أَلْفُ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِوَاحِدٍ عَلَى مَا قَالَهُ اَلزَّمَخْشَرِي: " اِعْلَمْ أَنَّ مَتْنَ كُلِّ عِلْمٍ وَعَمُودَ كُلِّ صِنَاعَةٍ – طَبَقَاتُ اَلْعُلَمَاءِ فِيهِ مُتَدَانِيَةٌ ، وَأَقْدَامُ اَلصُّنَّاعِ فِيهِ مُتَقَارِبَةٌ أَوْ مُتَسَاوِيَةٌ، إِنْ سَبَقَ اَلْعَالِمَ اَلْعَالِمَ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَّا بِخَطْأٍ يَسِيرَةٍ ، أَوْ تَقَدُّمَ اَلصَّانِعُ اَلصَّانِعَ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ إِلَّا بِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ ، وَإِنَّمَا

---

١ ـ أخرجه مسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: ٥٢١.

٢ ـ ينظر الطراز ص ١٨ بتصرف يسير.

٣– الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز– تأليف/ يحى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني– تحقيق/ محمد عبد السلام شاهين– دار الكتب العلمية– بيروت– الطبعة الأولى– ١٤١٥هـ ١٩٩٥م – ص٩.

اَلَّذِي تَبَايَنَتْ فِيهِ اَلرُّتَبُ، وَتَحَاكَتْ فِيهِ اَلرُّكَبُ، وَوَقَعَ فِيهِ اَلِاسْتِبَاقُ وَالتَّنَاضُلُ ، وَعَظُمَ فِيهِ اَلتَّفَاوُتُ وَالتَّفَاضُلُ،حَتَّى اِنْتَهَى اَلْأَمْرُ إِلَى أَمَدٍ مِنْ اَلْوَهْمِ مُتَبَاعِدٍ ، وَتَرَقَّى إِلَى أَنْ عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ مَا فِي اَلْعُلُومِ وَالصِّنَاعَاتِ مِنْ مَحَاسِنِ اَلنُّكَتِ وَالْفِقَرِ ، وَمِنْ لَطَائِفِ مَعَانٍ يَدُقُّ فِيهَا مَبَاحِثُ لِلْفِكَرِ ، وَمِنْ غَوَامِضِ أَسْرَارٍ ، مُحْتَجِبَةٍ وَرَاءَ أَسْتَارٍ، لَا يَكْشِفُ عَنْهَا مِنَ اَلْخَاصَّةِ إِلَّا أَوْحَدُهُمْ وَأَخْصُهُمْ ، وَإِلَّا وَاسِطَتُهُمْ وَفَصُّهُمْ ، وَعَامَّتُهُمْ عُمَاة عَنْ إِدْرَاكِ حَقَائِقِهَا بِأَحْدَاقِهِمْ، عُنَاة فِي يَدِ اَلتَّقْلِيدِ . . . فَالْفَقِيهُ وَإِنْ بَرَزَ عَلَى اَلْأَقْرَانِ فِي عِلْمِ اَلْفَتَاوَى وَالْأَحْكَامِ، وَالْمُتَكَلِّمُ وَإِنْ بَزَّ أَهْلَ اَلدُّنْيَا فِي صِنَاعَةِ اَلْكَلَامِ، وَحَافَظُ اَلْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ وَإِنْ كَانَ مِنْ اِبْنِ اَلْقِرْيَةِ أَحْفَظ، وَالْوَاعِظُ وَإِنَّ كَانَ مِنَ اَلْحَسَنِ اَلْبَصْرِي أُوعَظَ ، وَالنَّحْوِيُّ وَإِنَّ كَانَ أَنْحَى مِنْ سِيبَوَيه، وَاللُّغَوِيُّ وَإِنْ عَلَكَ اَللُّغَاتِ بِقُوَّةِ لِحييهِ لَا يَتَصَدَّى مِنْهُم أَحَدٌ لِسُلُوكِ تِلْكَ اَلطَّرَائِق، وَلَا يَغُوصُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ اَلْحَقَائِقِ إِلَّا رَجُلٌ قَدْ بَرَعَ فِي عِلْمَيْنِ مُخْتَصِّينِ بِالْقُرْآنِ، وَهُمَا عِلْمُ اَلْمَعَانِي وَعِلْمُ اَلْبَيَانِ وَتَمْهَّلَ فِي اِرْتِيَادِهِمَا آوِنَةً، وَتَعِبَ فِي اَلتَّنْقِيرِ عَنْهُمَا أَزْمِنَةً، وَبَعْثَتُهُ عَلَى تَتَبُّعِ مَظَانِّهِمَا هِمَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ لَطَائِفِ حُجَّةِ اَللَّهِ ، وَحَرَصَ عَلَى اِسْتِيضَاحِ مُعْجِزَةِ رَسُولِهِ "[1]

وَلِأَجلِ هَذَا اَلتَّفَاوُتِ اَلشَّدِيدِ اَلَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ اَلزَّمَخْشَرِيُّ حَتَّى عُدَّ أَلْفُ عَالِمٍ بِوَاحِدٍ، لَا يَتَوَافَرُ هَذَا اَلْمَقْصِدُ إِلَّا لِصَاحِبِ اَلذَّوْقِ اَلسَّلِيمِ، مِنْ خِلَالِ مُعَايَشَةِ كَلَامِ اَلْعَرَبِ وَالنَّسْجِ عَلَى مِنْوَالِهِمْ فِي اَلتَّعْبِيرِ عَنْ مَعَانِيهِم وَأَغْرَاضِهِم وَمَقَاصِدِهِم .

وَإِذَا تَتَبَّعْنَا اَلسِّيَاقَ اَلتَّارِيخِيّ اَلَّذِي ظَهَرَتْ فِيهِ مَسْأَلَةُ اَلْإِعْجَازِ تَأَكَّدَ لَنَا مَا قَصَدَتْ إِلَيْهِ اَلدِّرَاسَةُ مِنْ أَنَّ أُصُولَ اَلْبَلَاغَةِ تَسْتَنِدُ إِلَى أُصُولٍ عَقَائِدِيَّةٍ دَعَوِيَّةٍ حَتَّى وَإِنْ تَزَيَّتْ مَسَائِلُهَا بِالزِّيِّ اَلْبَلَاغِيِّ، وَالْمُؤَلَّفَاتُ اَلَّتِي وَاكَبَتْ هَذِهِ اَلْمَرْحَلَةَ خَيْرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ، فَالْعَرَبُ عِنْدَ اِخْتِلَاطِهِمْ بِالثَّقَافَاتِ اَلْأُخْرَى – خَاصَّةً فِي اَلْعَصْرِ اَلْعَبَّاسِيِّ – قَدْ أَفَاقُوا عَلَى خَطَرٍ يَتَهَدَّدُ دِينَهُمْ ، وَيَسْعَى لِسَلْبِ عَقِيدَتِهِمْ اَلَّتِي تُؤْمِنُ بِأَنَّ اَلْقُرْآنَ هُوَ كَلَامُ اَللَّهِ اَلْمُنَزَّلُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – اَلْمُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ ، فِي اَلْوَقْتِ اَلَّذِي

[1] ـ تفسيرالكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل– تأليف/ الإمام إبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ– تحقيق/ محمد عبد السلام شاهين– دار الكتب العلمية– بيروت– الطبعة الأولى– ١٤١٥هـ ١٩٩٥م– المجلد الأول ص٧

تعالتْ فيه أصواتُ "اَلشُّعُوبِيَّة" فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ عَنْ عَقِيدَةٍ تَرَى أَنَّ بُزُوغَ نَجْمِ اَلْعَرَبِ وَأُفُولَ نَجْمِهِمْ مِنْ مَسَاخِرِ اَلْقَدَرِ، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِكُلّ فَضِيلَةٍ وَمُنَقِّبَةٍ منهم، وَلِذَا حَاوَلُوا سَلْبَ مَفَاخِرِ اَلْعَرَبِ وَمَنَاقِبِهِمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ اَلْهَجْمَةُ اَلشَّرِسَةُ عَلَى اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ اَلَّتِي تُجَرِّدُهُ مِنْ مَظَاهِرِ إِعْجَازِهِ ، فَهَبَّ اَلْمُخْلِصُونَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ(عَرَبًا وَغَيْرِ عَرَبٍ) دِفَاعًا عَنْهُ وَبَحَثًا عَنْ مَظَاهِرِ إِعْجَازِهِ، وَقَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَى اَلْبَحْثِ فِي طَرَائِقِ اَلْعَرَبِ فِي اَلْإِبَانَةِ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ سَعْيًا إِلَى إِظْهَارِ بَلَاغَتِهِ وَوجوه إعجازه، مِمَّا عَظَّمَ شَأْنَ اَلشِّعْرِ اَلْجَاهِلِيّ ؛ إِذْ إِلَيْهِم وُجِّه اَلتَّحَدِّي.

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ هَذِهِ اَلْمُعَالَجَاتُ تَبَعًا لِاخْتِلَافِ تَوَجُّهِ أَصْحَابِهَا مَا بَيْنَ مُفَسِّرِينَ وَمُتَكَلِّمِينَ وَبَلَاغِيِّينَ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَبُو هِلَالٍ اَلْعَسْكَرِي فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ اَلصِّنَاعَتَيْنِ " ...وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ اَلْإِنْسَانَ إِذَا أَغْفَلَ عِلْمَ اَلْبَلَاغَةِ ، وَأَخَلَّ بِمَعْرِفَةِ اَلْفَصَاحَةِ لَمْ يَقَعْ عِلْمُهُ بِإِعْجَازِ اَلْقُرْآنِ مِنْ جِهَةِ مَا خَصَّهُ اَللَّهُ بِهِ مِنْ حُسْنِ اَلتَّأْلِيفِ، وَبَرَاعَةِ اَلتَّرْكِيبِ، وَمَا شَحَنَهُ بِهِ مِنْ اَلْإِيجَازِ اَلْبَدِيعِ، وَالِاخْتِصَارِ اَللَّطِيفِ؛ وَضَمَّنَهُ مِنْ اَلْحَلَاوَةِ، وَجَلَّلَهُ مِنْ رَوْنَقِ اَلطَّلَاوَةِ، مَعَ سُهُولَةِ كَلِمه وَجَزَالَتِهَا وَعُذُوبَتِهَا وَسَلَاسَتِهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَحَاسِنِهِ اَلَّتِي عَجَزَ اَلْخَلْقُ عَنْهَا، وَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهُمْ فِيهَا، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ إِعْجَازُهُ مِنْ جِهَةِ عَجْزِ اَلْعَرَبِ عَنْهُ، وَقُصُورِهِمْ عَنْ بُلُوغِ غَايَتِهِ فِي حُسْنِهِ وَبَرَاعَتِهِ وَسَلَاسَتِه وَنَصَاعَتِه وَكَمَالِ مَعَانِيهِ وَصَفَاء أَلْفَاظِهِ، وَقَبِيحٌ لَعَمْرِي **بِالْفَقِيه** اَلْمُؤْتَمّ بِهِ، **وَالْقَارِئِ** اَلْمُهْتَدِي بِهَدْيِهِ، **وَالْمُتَكَلِّمِ** اَلْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي حُسْنِ مُنَاظَرَتِهِ وَتَمَامِ آلَتِهِ فِي مُجَادَلَتِهِ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ فِي حُجَّاجِهِ، **وَبِالْعَرَبِيّ** اَلصَّلِيبِ **وَالْقُرَشِيّ** اَلصَّرِيحِ أَلَّا يَعْرِفَ إِعْجَاز كِتَابِ اَللَّهِ تَعَالَى إِلَّا مِنْ اَلْجِهَةِ اَلَّتِي يَعْرِفُهُ مِنْهَا اَلزِّنْجِيُّ وَالنَّبَطِيُّ، أَوْ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَيْهِ بِمَا اِسْتَدَلَّ بِهِ اَلْجَاهِلُ اَلْغَبِيُّ، فَيَنْبَغِي مِنْ هَذِهِ اَلْجِهَةِ أَنْ يُقَدِّمَ اِقْتِبَاسُ هَذَا اَلْعِلْمِ عَلَى سَائِرِ اَلْعُلُومِ بَعْدَ تَوْحِيدِ اَللَّهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَةِ عَدْلِهِ وَالتَّصْدِيق بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ عَلَى مَا ذَكَّرْنَا؛ إِذْ كَانَتْ اَلْمَعْرِفَةُ بِصِحَّةِ اَلنُّبُوَّةِ تَتْلُو اَلْمَعْرِفَةَ بِاَللَّهِ جَلَّ اِسْمُه"[1]

[1]- كتاب الصناعتين ص ٩،١٠.

وَمَا قَالَهُ اَلْعَلَوِيُّ : " أَمَّا بَعْدَ فَإِنَّ اَلْعُلُومَ اَلْأَدَبِيَّةَ وَإِنَّ عَظُمَ اَلشَّرَفُ فِي شَأْنِهَا وَعَلَا عَلَى أَوْجِ اَلشَّـــمْسِ قَدْرُهَا وَمَكَانُهَا، خَلَا أَنَّ عِلْمَ اَلْبَيَانِ هُوَ أَمِيرُ جُنُودِهَا، وَوَاسِـــطَةُ عُقُودِهَا، فَلَكُهَا اَلْمُحِيطُ اَلدَّائِرُ وَقَمَرُهَا اَلسَّامِرُ اَلزَّاهِرُ، وَهُوَ أَبُو عُذْرَتُهَا، وَإِنْسَانُ مُقْلَتِهَا، وَشُعْلَةُ مِصْبَاحِهَا، وَيَاقُوتَةُ وِشَاحِهَا، وَلَوْلَاهُ لَمْ تَرَ لِسَانًا يَحُوكُ اَلْوَشْيَ مِنْ حُلَلِ اَلْكَلَامِ ، وَيَنْفُثُ اَلسِّـــحْرَ مُفْتَرَ اَلْأَكْمَامِ ، وَكَيْفَ لَا ؟! وَهُوَ اَلْمُطَّلِعُ عَلَى أَسْـــرَارِ اَلْإِعْجَازِ، وَالْمُسْـــتَوْلِي عَلَى حَقَائِقِ عِلْمِ اَلْمَجَازِ، فَهُوَ مِنْ اَلْعُلُومِ بِمَنْزِلَةِ اَلْإِنْسَـــانِ مِنْ اَلسَّـــوَادِ، وَالْمُهَيْمِنُ عَلَيْهَا عِنْدَ اَلسَّبْرِ وَالْحَكِّ وَالِانْتِقَادِ" "[1].

وَفِي اَلسِّـيَاقِ ذَاتِهِ يَقُولُ : " وَمِنْ أَحَاطَ عِلْمًا بِالْفَصَـاحَةِ، وَتَغَلْغَلَ فِكْرُهُ فِي إِحْرَازِ أَسْـــرَارِهَا، عَرَفَ أَنَّ بَيْنَ مَا وَرَدَ فِي اَلتَّنْزِيلِ، وَبَيْنَ مَا أُثِّرَ عَنْ اَلْعَرَبِ فِيمَا أَوْرَدْنَاهُ مِنْ اَلْمِثَالِ فِي اَلْفَصَـــاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، بُونًا لَا تُدْرَكُ غَايَتُهُ، وَبُعْدًا لَا يُحْصَـــرُ تَفَاوُتُهُ، وَلِهَذَا فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ مِنْ اَلْمُفَسِّـرِينَ نَظَرُهُ فِي تَفْسِـيرِ كَلَامِ اَللَّهِ مَقْصُـورًا عَلَى مَعْرِفَةِ اَلْمَعَانِي اَلْإِعْرَابِيَّةِ، وَبَيَانِ مَدْلُولَاتِ اَلْأَلْفَاظِ اَلْوَضْـــعِيَّةِ لَا غَيْرَ، مِنْ غَيْرِ بَيَانِ مَا تَضَـــمَّنَهُ مِنْ أَنْوَاعِ اَلْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَتَقْرِيرِ مَوَاقِعِهِمَا اَلْخَاصَّةِ، فَإِنَّهُ يُعَدُّ مُقَصِّرًا فِي تَفْسِيرِهِ لِكَوْنِهِ قَدْ أَخَلَّ بِمُعْظَمِ عُلُومِهِ، وَأَهْمَلَهَا وَأَعْرَضَ عَنْ أَجَلِّ مَقَاصِـــدِهِ وَتَرَكَهَا، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اَلْإِعْجَازِ، لِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَعْرِفَةِ اَلْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ جَمِيعًا" "[2].

وَيَقُولُ: " وَمِنْ اِعْتَمَدَ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ اَللَّهِ عَلَى مُلَاحَظَةِ جَانِبِ اَلْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَنَزَّلَ اَلْمَعَانِيَ اَلْقُرْآنِيَّةَ عَلَيْهَا، سَـــلَمَ عَنْ أَكْثَرِ اَلتَّأْوِيلَاتِ اَلنَّادِرَةِ ، وَبَعُدَ عَنْ حَمْلِهِ عَلَى اَلْمَعَانِي اَلرَّكِيكَةِ اَلَّتِي وَقَعَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ اَلْمُفَسِّرِينَ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِهِمْ ""[3]

وَيَقُولُ اَلْخَلْخَالِي فِي كِتَابِ مِفْتَاحَ تَلْخِيصِ اَلْمِفْتَاحِ: " فَإِنَّ أُولَى مَا يَشْـــغَلُ اَلْهِمَمَ اَلْعَوَالِي، وَأَهَمَّ مَا تَصْـــرِفُ إِلَيْهِ اَلْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي مِنْ اَلْعُلُومِ اَلْأَدَبِيَّةِ هُوَ عِلْمُ اَلْبَلَاغَةِ وَتَوَابِعِهَا، اَلْكَاشِـفُ عَنْ وَجْهِ إِعْجَازِ اَلْقُرْآنِ اَلْعَزِيزِ اَلْقِنَاعِ ، اَلْمُفَصِّـلُ لِمَا أَجْمَلَهُ إِيثَارُ

---

[1]- الطراز، ص٣.

[2]- الطراز، ١٢، ١١.

[3]- الطراز، ص١٢.

أُولَئِكَ الْمَصَـــاقِعُ عَلَى مُعَارَضَـــتِهِ الْقِرَاع ، الْمُطَّلِعُ عَلَى نُكَتِ نَظمَهُ ، الْكَافِلُ بِإِبْرَازِ مَحَاسِنِهِ ، الدَّالُ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – بِالتَّحْقِيقِ لَا بِالتَّقْلِيدِ، وَلَوْلَاهُ لَمْ تَرَ لِسَانًا يَحُوكُ الْوَشْي ، وَيَصُوغَ الْحُلِيَّ، وَيَلْفِظَ الدُّرَّ ، وَيَنْفُثَ السِّحْرَ ""[1]

وَمِنْ شَاءَ فَلِيُرَاجِع تِلْكَ النُّصُوصَ الْمُضِيئَةَ الَّتِي اِشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا مُقَدِّمَاتٌ كُتَبِ الْإِعْجَازِ وَمُؤَلَّفَاتُ الْمُفَسِّرِينَ وَالْأُدَبَاءِ وَالْبَلَاغِيِّينَ، وَلَيْسَتْ الدِّرَاسَةُ فِي مَعْرِضِ تَسْجِيلِ كُلِّ مَا قَامَ بِهِ الْعُلَمَاءُ مِنْ مُمَارَسَاتٍ تَطْبِيقِيَّةٍ فِي شَأْنِ الْإِعْجَازِ، فَهَذَا أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى جُهُودٍ عَدِيدَةٍ وَأَزْمِنَةٍ مَدِيدَةٍ ، وَإِنَّمَا هَدَفُ الدِّرَاسَةِ أَنْ تَدُلَّكَ عَلَى الْقَوَاسِمِ الْمُشْتَرِكَةِ بَيْنَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَعلم الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَلَكَ أَنْ تَسْلُكَ فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْمُضِيئَةِ كُلَّ التَّفَاسِـــيرِ الَّتِي عُنِيَتْ بِالْجَانِبِ الْبَلَاغِيِّ ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي كُتُبِ الْمُفَسِّـــرِينَ وَالْبَلَاغِيِّينَ حَوْلَ الْإِعْجَازِ، ثُمَّ ضَـعْ فِي اِعْتِبَارِكَ وَوِجْدَانِكَ –بَعْدَ أَنْ تَذْهَبَ نَفْسُـكَ فِي قَضِـيَّةِ الْإِعْجَازِ كُلَّ مَذْهَبٍ– أَنَّ شَـأْنَ الْإِعْجَازِ عَجِيبٌ وَأَنَّهُ يُدْرَكُ وَلَا يُمْكِنُ وَصْـفُهُ حَتَّى يُرْفَعَ إِلَى رَبِّنَا بِكْرًا كَأَنَّ لَمْ يُؤْخَذْ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلِلَّهِ دَرُّ السَّكَّاكِي الَّذِي قَالَ فِي نِهَايَةِ مَبْحَثِي الْمَعَانِيَ وَالْبَيَانَ : " وَاعْلَمْ أَنَّ شَـــأْنَ الْإِعْجَازِ عَجِيبٌ يُدْرَكُ وَلَا يُمْكِنُ وَصْـــفُهُ كَاسْـتِقَامَةِ الْوَزْنِ يُدْرَكُ وَلَا يُمْكِنُ وَصْـفُهَا...، وَمَدْرِكُ الْإِعْجَازِ عِنْدِي هُوَ الذَّوْقُ لَيْسَ إِلَّا ، وَطَرِيقُ اِكْتِسَـــابِ الذَّوْقِ طُولُ خِدْمَةِ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ، نَعَمْ لِلْبَلَاغَةِ وُجُوهٌ مُلْتَئِمَةٌ رُبَّمَا تَيَسَّرَتْ إِمَاطَةُ اللِّثَامِ عَنْهَا لِتُجَلِّيَ عَلَيْكَ. أَمَّا نَفْسُ وَجْهِ الْإِعْجَازِ فَلَا "[2]

وَلَكَ أيها الداعية الحبيب أَنْ تَسْلُكَ فِي تِلْكَ السِّلْسِلَةِ الْمُضِيئَةِ – أَيْضًا – بَعْضَ الْمُؤَلَّفَاتِ الَّتِي عُنِيَتْ بِالْجَانِبِ التَّطْبِيقِيِّ؛ لَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِهَا مَا قَامَ بِهَا كُلٌّ مِنْ الرُّمَّانِي ت ٣٨٤ هـ ، فِي كِتَابِهِ " النُّكَت فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ " وَالْخَطَابِيِّ ت ٣٨٨ هـ فِي كِتَابِهِ " بَيَانُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ " وَالْبَاقِلَّانِي ت ٤٠٣ هـ فِي كِتَابِهِ " إِعْجَازُ الْقُرْآنِ " وَعَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِي ت ٤٧١ هـ فِي كِتَابَيْهِ " دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ " و " أَسْرَارُ الْبَلَاغَةِ " وَالزَّمَخْشَرِي ت ٥٣٨ هـ فِي تَفْسِيرِهِ " الْكَشَّاف " وَالْقَاضِي عِيَاضْ ت ٥٤٤ فِي كِتَابِهِ " الشِّفَاءِ فِي

[1] – مفتاح تلخيص المفتاح، للعلامة شمس الدين محمد بن مظهر الخطيب الخلخالي المتوفي ٧٤٠هـ– تحقيق/ هاشم محمد هاشم– المكتبة الأزهرية للتراث– مصر– الطبعة الأول– ٢٠٠٧ ص٢٨ ، ٢٩ المقدمة.

[2] ـ مفتاح العلوم ص٢٢٧.

اَلتَّعْرِيفِ بِحُقُوقِ اَلْمُصْـطَفَى لِإِعْجَازِ اَلْقُرْآنِ " وَابْنُ عَطِيَّة ٥٤٦ فِي تَفْسِـيرِهِ " اَلْمُحَرّرُ اَلْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ اَلْقُرْآنِ اَلْعَزِيزِ " وَاَلرَّازِي ت ٦٠٦ هـ فِي تَفْسِيرِهِ " اَلتَّفْسِيرُ اَلْكَبِيرُ أَوْ مَفَاتِيحُ اَلْغَيْبِ " وَكِتَابِهِ " نِهَايَةُ اَلْإِيجَازِ فِي دِرَايَةِ اَلْإِعْجَازِ "[١]

حَاجَةُ اَلدَّاعِيَةِ إِلَى اَللُّغَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ لِفَهْمِ مَعَانِي اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ :

اِشْـتَرَطَ اَلْبَلَاغِيُّونَ وَأَهْلُ اَلْإِعْجَازِ لمنْ يَتَصَـدَّى لِلْبَحْثِ عَنْ وُجُوهِ اَلْإِعْجَازِ فِي اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ مَا اِشْـــتَرَطُوهُ فِي اَلْأَدِيبِ، وَهُوَ أَنَّ يَكُونَ اَلْمُتَكَلِّمُ مُلِمًّا بِعُلُومِ اَلْعَرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّ هَذَا اَلْبَابَ – كَمَا يَقُولُ اَلْبَاقِلَّانِيُّ – مِمَّا لَا يُمْكِنُ إِحْكَامُهُ إِلَّا بَعْدَ اَلتَّقَدُّمِ فِي أُمُورٍ شَـــرِيفَةِ اَلْمَحَلِّ عَظِيمَةِ اَلْمِقْدَارِ دَقِيقَةِ اَلْمَسْلَكِ لَطِيفَةِ اَلْمَأْخَذِ " [٢]

خَاصَّـــةً عِلْمَ اَلْبَلَاغَةِ؛ لِأَنَّهُ – كَمَا يَقُولُ اَلْعَلَوِيُّ – لَا غِنَى لِلْمُفَسِّـــرِ عَنْهُ فِي مَعْرِفَةِ إِعْجَازِ اَلْقُرْآنِ : " وَمِنْ أَحَاطَ عِلْمًا بِالْفَصَـــاحَةِ ، وَتَغَلْغَلَ فِكْرُهُ فِي إِحْرَازِ أَسْـــرَارِهَا ، عَرَفَ أَنَّ بَيْنَ مَا وَرَدَ فِي اَلتَّنْزِيلِ وَبَيْنَ مَا أُثِرَ عَنْ اَلْعَرَبِ فِيمَا أَوْرَدْنَاهُ مِنْ اَلْمِثَالِ فِي اَلْفَصَـاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ بُونًا لَا تُدْرَكُ غَايَتُهُ، وَبُعْدًا لَا يُحْصَـرُ تَفَاوُتُهُ، وَلِهَذَا فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ مِنْ اَلْمُفَسِّرِينَ نَظَرُهُ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ اَللَّهِ مَقْصُورًا عَلَى مَعْرِفَةِ اَلْمَعَانِي اَلْإِعْرَابِيَّةِ وَبَيَانِ مَدْلُولَاتِ اَلْأَلْفَاظِ اَلْوَضْـــعِيَّةِ لَا غَيْرُ، مِنْ غَيْرِ بَيَانِ مَا تَضَـــمَّنَهُ مِنْ أَنْوَاعِ اَلْفَصَـــاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَتَقْرِيرِ مَوَاقِعِهِمَا اَلْخَاصَّةِ، فَإِنَّهُ يُعَدُّ مُقَصِّرًا فِي تَفْسِيرِهِ لِكَوْنِهِ قَدْ أَخَلَّ بِمُعْظَمِ عُلُومِهِ، وَأَهْمَلَهَا وَأَعْرَضَ عَنْ أَجَلِ مَقَاصِـــدِهِ وَتَرَكَهَا، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اَلْإِعْجَازِ، لِأَنَّـهُ مَوْقُوفٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَعْرِفَةِ اَلْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ جَمِيعًا . [٣]

وَيَزِيدُ اَلسَّـــكَّاكِيُّ اَلْمَعْنَى وُضُـــوحًا قَائِلاً : " لَا أَعْلَمُ فِي بَابِ اَلتَّفْسِـــيرِ بَعْدَ عِلْمِ اَلْأُصُـــولِ أَقْرَأَ عَلَى اَلْمَرْءِ لِمُرَادِ اَللَّهِ مِنْ كَلَامِهِ مِنْ عِلْمِيِّ اَلْمَعَانِي وَالْبَيَانِ، وَلَا أَعْوَنَ عَلَى تَعَاطِي تَأْوِيلِ مُتَشَـــابِهَاتِهِ، وَلَا أَنْفَعَ فِي دَرْكِ لِطَائِفِ نُكَتِهِ وَأَسْـــرَارِهِ، وَلَا أَكْشِـــفَ

---

[١]- يراجع في ذلك " البلاغة العربية في ضوء مقاصدها" للباحث –مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة– ٢٠١٨ على الرابط التالي"

https://jflm.journals.ekb.eg/article_38297.html

[٢]- ينظر إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني– الناشر : دار المعارف – القاهرة – تحقيق : السيد أحمد صقر ص٥

[٣]- الطراز ص١١، ١٢.

لِلْقِنَاعِ عَنْ وَجْهِ إِعْجَازِهِ، وَلَكَمْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اَلْقُرْآنِ تَرَاهَا قَدْ ضِـيمَتْ حَقَّهَا وَاسْـتُلِبَتْ مَاءَهَا وَرَوْنَقَهَا أَنْ وَقَعَتْ إِلَى مِنْ لَيْسُـوا مِنْ أَهْلِ هَذَا اَلْعِلْمِ، فَأَخَذُوا بِهَا فِي مَآخِذَ مَرْدُودَةٍ ، وَحَمَلُوهَا عَلَى مَحَامِلَ غَيْرِ مَقْصُودَةٍ " (١)

ثُمَّ اِنْتَهَى بِهِ اَلرَّأْيُ أَنْ قَالَ : " . . . وَفِيمَا ذَكَّرَنَا مَا يُنَبِّهُ عَلَى أَنَّ اَلْوَاقِفَ عَلَى تَمَامِ مُرَادِ اَلْحَكِيمِ –تَعَالَى وَتَقَدَّسَ– مِن كَلَامِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَى هَذَيْنِ اَلْعِلْمَيْنِ (اَلْمَعَانِي وَالْبَيَانُ) كُلَّ اَلِافْتِقَارِ ، فَالْوَيْلُ كُلُّ اَلْوَيْلِ لَمِنْ تَعَاطَى اَلتَّفْسِيرَ وَهُوَ فِيهِمَا رَاجِل. (٢)

يُضَـافُ إِلَى ذَلِكَ مَا قَالَهُ صَـاحِبُ اَلتَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ : أَنَّ " اَلْقُرْآنَ كَلَامٌ عَرَبِيٌّ، فَكَانَتْ قَوَاعِدُ اَلْعَرَبِيَّةِ طَرِيقًا لِفَهْمِ مَعَانِيهِ، وَبِدُونِ ذَلِكَ يَقَعُ اَلْغَلَطُ وَسُـوءُ اَلْفَهْمِ لِمَنْ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ بِالسَّلِيقَةِ، وَأَعْنِي بِقَوَاعِدِ اَلْعَرَبِيَّةِ مَجْمُوعُ عُلُومِ اَللِّسَانِ اَلْعَرَبِيِّ، وَهِيَ : مَتْنُ اَللُّغَةِ، وَالتَّصْـرِيفُ، وَالنَّحْوُ، وَالْمَعَانِي، وَالْبَيَانُ، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ اِسْـتِعْمَالُ اَلْعَرَبِ اَلْمُتَّبَعِ مِنْ أَسَـالِيبِهِمْ فِي خُطَبِهِمْ وَأَشْـعَارِهِمْ وَتَرَاكِيبِ بُلَغَائِهِمْ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَا يَجْرِي مَجْرَى اَلتَّمْثِيلِ وَالِاسْتِئْنَاسِ لِلتَّفْسِيرِ مِنْ أَفْهَامِ أَهْلِ اَللِّسَانِ أَنْفُسَهُمْ لِمَعَانِي آيَاتٍ غَيْرِ وَاضِحَةِ اَلدَّلَالَةِ عِنْد اَلْمَوْلَدَيْنِ " (٣)

غَيْرَ أَنَّنَا لَا نَنْسَى وَنَحْنُ نَطْلُبُ مَعْرِفَةَ هَذَا اَلْمَقْصِدِ – إِعْجَازُ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ – أَنَّ شَـأْنَ اَلْبَحْثِ عَنْ وُجُوهِ اَلْإِعْجَازِ فِي اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ عَظِيمٌ، لَا تَعِيه اَلْقَوَالِبُ اَلْعِلْمِيَّةُ وَلَا اَلشَّـهَادَاتُ اَلْجَامِعِيَّةُ، وَإِنَّمَا يَعِيهُ أَصْـحَابُ اَلْبَصَـائِرِ اَلنَّيِّرَةِ وَالضَّـمَائِرِ اَلْحَيَّةِ، وَمِنْ هُنَا اِخْتَلَفَتْ عَطَاءَاتُ اَلْقُرْآنِ لِلْمُشْتَغِلِينَ بِهِ بِمِقْدَارِ قُرْبِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ.

وَأَنَا أَسُوقُ لَكَ أَيُّهَا اَلدَّاعِيَةُ بَعْضَ عَطَاءَاتِ اَللَّهِ لِبَعْضِ اَلْمُفَسِّرِينَ؛ يَقُولُ اَلسُّيُوطِي مُتَحَدِّثًا عَنْ اَلْعَلَّامَةِ اَلزَّمَخْشَـرِي : " اَلْأَصْـلُ تَوَافُقُ اَلضَّـمَائِرِ فِي اَلْمَرْجِعِ حَذَرًا مِنْ اَلتَّشْتِيتِ ، وَلِهَذَا لِمَا جَوَّزَ بَعْضُـهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى " أَنْ اِقْذِفِيهِ فِي اَلتَّابُوتِ فَاقْذِفِيه فِي

١- مفتاح العلوم_ تأليف أبي يعقوب بن أبي بكر بن علي السكاكي_ الناشر: مطبعة الحلبي– مصر– الطبعة الثانية– ١٤١١هـ١٩٩٠م– ص ٢٣١.

٢- مفتاح العلوم، ص٩١

٣- التحرير والتنوير – تأليف: الإمام محمد الطاهر بن عاشور– دار سحنون للنشر والتوزيع– تونس– بدون تاريخ– ص١٨.

اَلْيَمّ "[1] أَنَّ اَلضَّـمِيرَ فِي اَلثَّانِي لِلتَّابُوتِ ، وَفِي اَلْأَوَّلِ لِمُوسَـى عَابَهُ اَلزَّمَخْشَـرِيُّ ، وَجَعَلَهُ تَنَافُرًا مُخْرِجًا لِلْقِرَآنِ عَنْ إعْجَازِهِ فَقَالَ : " وَالضَّـمَائِرُ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إلَى مُوسَـى، وَرُجُوعُ بَعْضِـهَا إلَيْهِ ، وَبَعْضِـهَا إلَى اَلتَّابُوتِ فِيهِ هَجْنَةٌ؛ لِمَا يُؤَدِّي إلَى تَنَافُرٍ فِي اَلنَّظْمِ اَلَّذِي هُوَ أُمُّ إعْجَازِ اَلْقُرْآنِ، وَمُرَاعَاتُهُ أَهَمُّ مَا يَجِبُ عَلَى اَلْمُفَسِّرِ " [2]

لَعَلَّكَ اَلْآنَ أَيُّهَا اَلدَّاعِيَةُ اَلْحَبِيبُ أَدْرَكْتَ أَنَّهُ لَا غِنَى عَنْ تَدَبُّرِ مَعَانِي اَلْقُرْآنِ وَفَهْمِ أَسَـالِيبِهِ وَالِاهْتِمَامِ بِتَنْمِيَةِ ذَوْقِكَ؛ لِمَا يُمَثِّلُهُ اَلذَّوْقُ اَلْبَيَانِيُّ مِنْ رَكِيزَةٍ أَسَـاسِـيَّةٍ فِي فَهْمِ كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِ اَلْعَقِيدَةِ اَلَّتِي قَدْ تَلْتَبِسُ عَلَى اَلنَّاسِ ، وَكَشْفِ اَلْأَحْكَامِ اَلشَّرْعِيَّةِ اَلَّتِي لَا تَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ اَلنَّصِّ، فَكَمْ مِنْ آيَاتٍ جَنَحَ بِهَا اَلْمُفَسِّرُونَ عَنْ مَقْصِدِهَا بِتَأْوِيلٍ فَاسِدٍ ، وَكَمْ مِنْ أَحْكَامٍ قَعَدَ عَنْ اِسْتِنْبَاطِهَا وَاسْتِخْرَاجِ مَا فِيهَا ذَوْقٌ بَارِدٌ، وَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ قَدْ ضُـعِّفَ، وَضَـعِيفٍ قَدْ صُـحِّحَ، وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ اَلزَّمَخْشَـرِي عِنْدَ تَفْسِـيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَالسَّـمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ " [3] قَائِلاً : " وَكَمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اَلتَّنْزِيلِ وَحَدِيثٍ مِنْ أَحَادِيثِ اَلرَّسُولِ ، قَدْ ضَـيْمَ وَسِيمَ اَلْخَسْفَ، بِالتَّأْوِيلَاتِ اَلْغَثَّةِ، وَالْوُجُوهُ اَلرَّثَّةِ ؛ لِأَنَّ مِنْ تَأَوُّلِهَا لَيْسَ لَهُ مِنْ هَذَا اَلْعِلْمِ عِيرٌ وَلَا نَفِيرٌ، وَلَا يَعْرِفُ قَبِيلاً مِنْهُ مِنْ دَبِيرٍ " [4]

وَمِنْ اَلْكُتُبِ اَلْمُعِينَةِ لَكَ فِي اَلتَّعَرُّفِ عَلَى وُجُوهِ إعْجَازِ اَلنَّظْمِ اَلْقُرْآنِيِّ ، مَا كَانَ مِنْ كُتُبِ اَلْمَجَازِ ؛ كـــ (مَجَاز اَلْقُرْآن) لِأَبِي عُبَيْدَة مَعْمَر بْن اَلْمُثَنَّىٰ ت ٢١١ هـ و (تَأْوِيلُ مُشْـــكِلِ اَلْقُرْآنِ) لِابْنِ قُتَيْبَة اَلدِّينَوَرِي ت ٢٧٦ هـ ، و (تَلْخِيصُ اَلْبَيَانِ فِي

---

[1]- سورة طه الآية ٣٩.

[2]- ينظر الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي– تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم– مكتبة دار التراث– القاهرة– ٢/ص٢٨٤، وينظر كذلك تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في جوه التنزيل للزمخشري– دار الكتب العلمية – لبنان– الطبعة الأولى– ١٤١٥هـ١٩٩٥م– ص٦١ المجلد الثالث. ولفظ الزمخشري:" والضمائر كلها راجعة إلى موسى. ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت: فيه هجنة، لما يؤدى إليه من تنافر النظم. فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل. قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت، حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن. والقانون الذي وقع عليه التحدّى، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر.وينظر كذلك السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمتكوب–تأليف/ محمد سالم أبو عفرة– مكتبة الآدب– القاهرة– الطبعة الأولى– ١٤٣١هـ٢٠١٠م ص٩٠، ٩١.

[3]- سورة الزمر الآية ٦٧.

[4]- الكشاف الجزء الرابع ص ١٣٨،١٣٩.

مَجَازَاتِ اَلْقُرْآنِ) لِلشَّـرِيفِ اَلرَّضِـيّ ت ٤٠٦ هـ ، مَعَ اَلْعِلْمِ أَنَّ كَلِمَةَ "اَلْمَجَازِ" هُنَا لَا تَعْنِي اِسْـتِعْمَالَ اَلْكَلِمَةِ فِي غَيْرِ مَا وَضَـعَتْ لَهُ ، كَمَا أُقِرَّ مُؤَخَّرًا ، وَإِنَّمَا اَلْمُرَادُ بِـــــ" الْمَجَازِ" فِي كُتُبِهِمْ: اَلطَّرِيقُ أَوْ اَلْمَعْبَرُ اَلَّذِي جُزْنَا بِهِ إِلَى أَدَاءِ اَلْمَعْنَى ، وَهَذَا اَلْمَعْنَى جَلِيٌّ فِي كِتَابِ "مُجَازِ اَلْقُرْآنِ" وَإِنْ كَانَ مَعَ شَـــيْءٍ مِنْ اَلتَّوَسُّـــعِ فِي كِتَابِ " تَأْوِيلُ مُشْـــكِلِ اَلْقُرْآنِ " لِابْنِ قُتَيْبَة اَلدَّيْنَورِي ، بِخِلَافِ كِتَابِ " تَلْخِيصُ اَلْبَيَانِ فِي مَجَازَاتِ اَلْقُرْآنِ " لِلشَرِيفِ اَلرَّضِيّ ؛ حَيْثُ أَطْلَقَ هَذَا اَلْمُصْطَلَحِ عَلَى مَا يُعْرَفُ اَلْآنَ بِالِاسْتِعَارَةِ، لَكِنَّ اَلْهَدَفَ اَلَّذِي كَانَ يَجْمَعُ هَذِهِ اَلْمُؤَلَّفَاتِ فِي هَذِهِ اَلْمَرْحَلَةِ هُوَ تَوْضِـــيحُ مَا غَمُضَ عَلَى اَلْأَفْهَامِ وَرَبْطِهِ بِأَسَـــالِيبِ اَلْعَرَبِ وَطَرَائِقِهِمْ فِي اَلتَّعْبِيرِ، وَالرَّدُّ عَلَى اَلْمُنْكِرِينَ لِفِكْرَةِ الإعجاز، ثُمَّ تَوَالَتْ اَلْجُهُودُ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَلَّفَ اِبْنُ نَاقِيَا اَلْبَغْدَادِيّ ت ٤٨٥ هـ " اَلْجُمَانُ فِي تَشْبِيهَاتِ اَلْقُرْآنِ " وَخَصَّهُ بِالتَّشْبِيهَاتِ اَلْقُرْآنِيَّةِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ اَلْعُنْوَانِ ، وَكِتَابُ " بَدَائِعُ اَلْقُرْآنِ " لِابْنِ أَبِي اَلْإِصْـبَعِ ت ٦٥٤ هـ اَلَّذِي عَنَى فِيهِ بِفُنُونِ اَلْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ . . . وَمُهِمَّةُ اَلْبَيَانِ اَلْعَرَبِيّ فِي تِلْكَ اَلْفَتْرَةِ هِيَ فَهْمُ مَعَانِي اَلْقُرْآنِ وَتَعَرُّفُ أَسَالِيبِهُ.

اَلْمَطلبُ اَلثَّانِي :

قَضِيَّةُ التَّأْوِيلِ"اَلْمَجَازِ" وَأَثَرُهَا فِي اَلدَّعْوَةِ :

مِنْ اَلْقَوَاسِـمِ اَلْمُشْـتَرَكَةِ بَيْنَ عِلْمِ اَلْبَلَاغَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ وَفَنِّ اَلدَّعْوَةِ إِلَى اَللَّهِ – تَعَالَى – قَضِـيَّةُ اَلتَّأْوِيلِ " اَلْمَجَازِ " فَالْبَلَاغَةُ اَلْعَرَبِيَّةُ عِلْمٌ مَبْنَاهُ عَلَى اَلتَّوَاصُـلِ، كَمَا أَنَّ مُهِمَّةَ اَلدَّاعِيَةِ – أَيْضًا – قَائِمَةٌ عَلَى اَلتَّوَاصُلِ اَلْمُبَاشِرِ مَعَ اَلْجُمْهُورِ.

وَالْمُرَادُ بِالتَّوَاصُلِ: مُخَاطَبَةُ اَلْجُمْهُورِ بِمَا يَعْرِفُ، فَلَا يُخَاطَبُ الداعية بِـ"الْمَجَازِ" مَنْ لَا يَعْرِفُ اَلْمَجَازَ، وَلذا وَجَبَ عَلَى اَلْبَلِيغِ وَالدَّاعِيَةِ رَبْطُ اَلْكَلَامِ بِمَقَامِ اِسْـتِعْمَالِهِ، وَمِنْ هُنَا أَيْضًـا اِشْـتَرَطَ اَلْبَلَاغِيُّونَ مَعْرِفَةَ اِصْـطِلَاحِ اَلتَّخَاطُبِ: أَيْ مَا اصْـطَلَحَ عَلَيْهِ اَلنَّاسُ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي تَعْرِيفِ اَلْمُتَأَخِّرِينَ لِلْمَجَازِ: اِسْتِعْمَالُ اَلْكَلِمَةِ أَوْ اَلْكَلَامِ فِي غَيْرِ وَضْـعٍ لَهُ فِي **اِصْطِلَاحِ اَلتَّخَاطُبِ**، لِعَلَاقَةٍ وَقَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ اَلْمَعْنَى اَلْحَقِيقِيِّ، وَذَلِكَ إِذَا قَصَـدَ بِالْمَجَازِ " اَلْمَجَازِ اَللُّغَوِيِّ " أَمَّا إِذَا قُصِـدَ بِالْمَجَازِ " اَلْمَجَازُ اَلْعَقْلِيُّ فَهُوَ: إِسْـنَادُ اَلْفِعْلِ – أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ – إِلَى غَيْرِ فَاعِلِه اَلْحَقِيقِيِّ فِي **اِصْـطِلَاحِ اَلتَّخَاطُبِ**، لِعَلَاقَةٍ مُجَوِّزَةٍ وَقَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ اَلْمَعْنَى اَلْحَقِيقِيِّ.

وقد أدرك المفسـرون أنَّ القرآنَ الكريمَ نزل بلغة العرب ولا تُفهم معانيه إلَّا من داخل ثقافة العرب، يقول الزمخشريُّ:" وبابُ التمثيل واسعٌ في كلام الله تعالى ورسوله عليه السلام، وفي كلام العرب. [١]

ومن ثمَّ نعى على الذين قعد بهم الجهلُ عن معرفة طرائق العرب فوقعوا في "التجسيم" فحملوا المعنى على خلاف مراد الله، بينما حمله الزمخشريُّ على "التخييل" في قولـه تعـالى:(وَمَـا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَـتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّـمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْـرِكُونَ) [الزمر الآية٦٧] قائلا:" لما كان العظيمُ من الأشـياء إذا عرفه الإنسـانُ حقَّ معرفته، وقدَّره في نفسـه حقَّ تقديره، وعظَّمه حقَّ تعظيمه قيل: وما قدروا الله حقَّ قدره وقرئ بالتشـديد على معنى: وما عظَّموه كنه تعظيمه، ثم نبههم على عظمته وجلالة شـأنه على طريقة "التخييل"

---

[١] – الكشاف للزمخشري ١٧٦/٢.

فقال: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَـــتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّـــمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) والغرضُ من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه، تصـــويرُ عظمتِه والتوقيفُ على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضـــة لا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز، وكذلك حكم ما يُروى: أنَّ جبريل جاء إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا أبا القاسم: إنَّ الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصـبع، والأرضـين على أصـبع، والجبال على أصـبع، والشـجر على أصبع، والثرى على الأصبع، وسائر الخلق على أصبع، ثم يهزهنَّ فيقول: أنا الملك، فضـحك رسـول الله –صـلى الله عليه وسلم– تعجبًا ممَّا قال، ثم قرأ تصـديقًا له: وما قدروا الله حق قدره ... الآية، وإنما ضـحك: أفصـح العرب –صـلى الله عليه وسلم– وتعجب; لأنَّه لم يفهم منه إلَّا ما يفهمه علماء البيان من غير تصـــور إمســـاكٍ ولا أصـــبعٍ ولا هزٍّ ولا شـــيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول شـــيء وآخره على الزبدة والخلاصـــة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة، وأنَّ الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتنهها الأوهام هينةً عليه هوانًا لا يوصـلُ السـامعُ إلى الوقوف عليه، إلَّا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من "التخييل" ولا ترى بابًا في علم البيان أدقّ ولا أرقّ ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشـتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء، فإنَّ أكثرَه وعليتَه "تخييلاتٌ" قد زلت فيها الأقدامُ قديمًا، وما أوتي الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير، حتى يعلموا أنَّ في عداد العلوم الدقيقة علمًا لو قدَّره حقَّ قدره; لما خفى عليهم أن العلوم كلَها مفتقرةٌ إليه وعيالٌ عليه، إذ لا يحل عُقَدَها المورِبة ولا يَفكُّ قيودَها المكربة إلا هو، وكم آيةٍ من آياتِ التنزيل وحديثٍ من أحاديثِ الرســـول، وقد ضيم وسيم الخسفَ بالتأويلاتِ الغثةِ، والوجوه الرَّثةِ; لأنَّ مَنْ تأوَّل ليس من هذا العلم في عيرٍ ولا نفيرٍ، ولا يعرف قبيلًا منه من دبيرٍ[1].

[1] – الكشاف ٤ /١٤٢.

اَلْمَجَازُ وَالْكَذِبُ :

اِسْـتَنَدَ مُنْكِرُو" اَلْمَجَازِ" إِلَى شُـبْهَةٍ، فَحْوَاهَا : أَنَّ اَلْمَجَازَ كَذِبٌ ، وَالْكَذِبُ مَحَالٌ عَلَى اَللَّهِ تَعَالَى ، وَمِنْ ثَمَّ وَجَبَتْ اَلتَّفْرِقَةُ بَيْنَ اَلْمَجَازِ وَالْكَذِبِ، **فَمَا اَلْمُرَادُ بِالْمَجَازِ؟**

اَلْمَجَازُ: نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ اَلْعُدُولِ، أَي اَلْعُدُولُ مِنْ أُسْـلُوبٍ مَأْلُوفٍ، وهو" الحقيقة" إِلَى أُسْـلُوبٍ آخَرَ غَيْرِ مَأْلُوفٍ وهو" المجاز" تَتَطَلَّبُهُ اَلسِّـيَاقُ وَاقْتَضَـاهُ اَلْمَقَامُ؛ وَفْقًا لِاعْتِبَارَاتٍ وَأَغْرَاضٍ مُنَاسَبَةٍ، فَالمجاز لَا يُعَبِّرُ عَنْ سَعَةِ هَذِهِ اَللُّغَةِ وَقُدْرَتِهَا عَلَى تَجَاوُزِ حُدُودِ اَلْحَقِيقَةِ إِلَى اَلْخَيَالِ فَحَسْبَ، بَلْ هُوَ مَطْلَبٌ وَمُقْتَضَى مُقَامٍ ، إِذْ لَا يَعْدِلُ اَلْمُتَكَلِّمُ مِنْ اَلْحَقِيقَةِ إِلَى اَلْمَجَازِ تَفَنُّنًا، أَوْ دَفْعًا لِلسَّآمَةِ وَالْمَلَلِ كَمَا يُشِيعُ بَعْضُهُمْ، وَإِنَّمَا يُعْدَلُ مِنْ اَلْحَقِيقَةِ إِلَى اَلْمَجَازِ، لِأَنَّ فِي اَلْعُدُولِ بَلَاغَةً لَا تَكُونُ فِي اَلْحَقِيقَةِ؛ إِذَا اِقْتَضَـى اَلْمَقَامُ ذَلِكَ اَلْعُدُولَ، وَلَوْ عُبِّرَ بِالْحَقِيقَةِ لَفَسَـدَتْ بَلَاغَةُ اَلْكَلَامِ وَذَهَبَ رَوْنَقُهُ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ فِي شَـأْنِهِ عَبْدُ اَلْقَاهِرِ اَلْجُرْجَانِي " هَذَا اَلضَّـرْبِ مِنْ اَلْمَجَازِ عَلَى حِدَّتِهِ , كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ اَلْبَلَاغَةِ, وَمَادَّةُ اَلشَّاعِرِ اَلْمُفَلَّقِ وَالْكَاتِبِ اَلْبَلِيغِ فِي اَلْإِبْدَاعِ وَالْإِحْسَانِ وَالِاتِّسَاعِ فِي طَرِيقِ اَلْبَيَانِ "[1].

[1] ـ دلائل الإعجاز ص ٢٩٥.

اَلْمَجَازُ اَلْعَقْلِيُّ :

قد يقع المجاز في الإسناد(أي في إسناد الفعل لغير فاعله) فيسمى بـــ" بالمجاز العقلي أو الإسنادي" وقد يقع في اللغة، ويسمى حينئذ بـــ(المجاز اللغوي) فما المجاز العقلي أولًا؟

هُوَ إِسْـــنَادُ اَلْفِعْلِ (أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ) إِلَى غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ بِتَأَوُّلٍ" [1] لِعَلَاقَةٍ ، وَقَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ اَلْمَعْنَى اَلْأَصْـــلِيِّ ، فَإِذَا قُلْنَا مَثَلاً : شَـــفَيَ اَلطَّبِيبُ اَلْمَرِيضَ " كَانَ إِسْـــنَادُ "اَلشِّـــفَاءِ" إِلَى "اَلطَّبِيبِ" مِنْ قَبِيْلِ اَلْمَجَازِ اَلْعَقْلِيِّ، لِأَنَّ اَلطَّبِيبَ لَا يَشْـــفِي حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا هُوَ سَـــبَبٌ فِي اَلشِّـــفَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًـــا قَوْلُنَا : أَنْبَتَ اَلْمَطَرُ اَلزَّرْعَ ، فَ"اَلْمَطَرُ" لَا يُنْبِتُ حَقِيقَةً ، وَإِنَّمَا اَلْمُنْبِتُ اَلْحَقِيقِيُّ هُوَ اَللَّهُ.

وَمِنْ أَنْكَرَ اَلْمَجَازَ يَرْفُضُ هَذَا اَلْإِسْنَادَ، وَرُبَّمَا يَتَّهِمُ صَاحِبَهُ بِالْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ، وَفِي اِعْتِقَادِهِ أَنَّ هَذَا اَلْقَوْلَ لَا يَصْـــدُرُ عَنْ مُؤْمِنٍ موحِّدٍ، وَلِذَا اِشْـــتَرَطَ أَهْلُ اَلْبَلَاغَةِ شَـــرْطَيْنِ في قضـــــية التجوز: أحدِهما: قَرِينَةٌ دَالَّةٌ عَلَى عَدَمِ إِرَادَةِ اَلْمَعْنَى اَلْحَقِيقِيِّ، وَالآخر: عَلَاقَةٌ تُجَوِّزُ إِسْنَادَ اَلْفِعْلِ إِلَى غَيْرِ فَاعِلِه ، وَلِنَقِفْ أَوَّلاً مَعَ اَلْقَرِينَةِ.

وهذه قضـــيةٌ مهمةٌ للداعيةِ في حقلِه الدعويّ؛ حيث تتعلقُ بمســـألةِ "أفعالِ العبادِ" بمعنى آخرَ: هل يصحُ أنْ يُسند الفعلُ إلى غيرِ فاعله الحقيقي؟وهل للإنسانِ اختيارٌ؟ وتفصـــيلُ هذه المســـألةِ في كتب الاعتقادِ، وتحتاجُ في إدراكِها إلى فهم طبيعةِ اللغةِ وطرائقِ العربِ في الإبانة.

[1] ـ تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص للخطيب القزويني– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– صـ١١.

قَرِينَةُ الْمَجَازِ الْعَقْلِيّ :

الْمَجَازُ الْعَقْلِيُّ لَا بُد لَهُ مِنْ (قَرِينَةٍ) مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْأَصْـــلِيّ، وَهِيَ إِمَّا: لَفْظِيَّةٌ ؛كَقَوْلِكَ : شَيَّبَتْنِي الْهُمُومُ وَالْأَحْزَانُ ، فَاللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمّ وَالْحَزَنِ، فَالْقَرِينَةُ هُنَا قَوْلَك:" فَاللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمّ وَالْحَزَنِ " فَهو قَوْلٌ يَدُلُّ دَلَالَةً صَرِيحَةً عَلَى أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ أَرَادَ مِنْ "إِثْبَاتِ الشَّيْبِ" لِلْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ الْمُبَالَغَةِ فِي تَصْوِيرِ مُعَانَاتِهِ، وليس الألحادُ أو عدمُ الاعتراف بالله الواحدِ الأحدِ الخالقِ الأفعالَ كلَها، وَالِاسْـتِعَاذَةَ بِاَللَّهِ مِنْ الْهُمُومِ وَالْحَزَنِ قَرِينَةٌ صَـرِيحَةٌ عَلَى مَجَازِيَّةِ هَذَا الْإِسْـنَادِ؛ لِكَوْنِ الْمُسْتَعَاذِ بِهِ وَهُوَ " اللَّهُ " أَقْوَى وَأَشَدُّ تَأْثِيرًا مِنْ الْمُسْتَعَاذِ مِنْهُ " الْهُمومُ وَالأحزانِ "

وَقَدْ تَكُونُ الْقَرِينَةُ مَعْنَوِيَّةً ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ :

١ – اسْتِحَالَةُ قِيَامِ الْمُسْنَدِ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَقْلاً؛ نَحْو : مَحَبَّتُكَ جَاءَتْ بِي إِلَيْكَ ، لِظُهُورِ اِسْتِحَالَةِ قِيَامِ الْمَحِبِّ بِالْمَحَبَّةِ، لِأَنَّ الْعَرَضَ لَا يَقُومُ بِالْجِسْمِ، وَإِنَّمَا يَقُومُ الْجِسْمُ بِالْعَرَضِ.

٢ – اِسْتِحَالَةُ قِيَامِ الْمُسْنَدِ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَادَةً؛ نَحْو: هَزَمَ الْأَمِيرُ الْجُنْدَ؛ لِاسْتِحَالَةِ قيام الأمير بهزيمة الجند وَحْدهُ عَادَةً ، وَإِنْ كَانَ ذلك مُمْكِنًا عَقْلاً .

٣ – صُدُورُ الْكَلَامِ مِنْ الْمُوَحِّدِ فِي مِثْل قولنا: أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْنبات، مما يُتصور معه عدم الإلحاد والشرك.

أَمَّا عَنْ اِشْـــتِرَاطِ الْعَلَاقَةِ فِي الْمَجَازِ الْعَقْلِيّ: فَلِهَذَا النَّوْعِ مِنْ الْمَجَازِ عَلَاقَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ تَرْتَبِطُ بِالْفِعْلِ وَتَتَلَاقَى مَعَهُ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ هُوَ مَا دَلَّ عَلَى الْحَدَثِ وَالزَّمَنِ مَعًا، وَمِنْ ثَمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ فَاعِلٍ لِلْحَدَثِ وَمَفْعُولٍ بِهِ، وَزَمَانٍ يَقَعُ فِيهِ، وَمَكَانٍ يَحْتَوِيه، وَسَبَبٍ يَقُومُ بِهِ، وَكَيْفِيَّةٍ يَقَعُ عَلَيْهَا، وَكُلُّهَا أُمُورٌ مُرْتَبِطَةٌ بِالْفِعْلِ وَتَتَلَابَسُ مَعَهُ، وَمِنْ هُنَا قَالَ الْخَطِيبُ الْقَزْوِينِيُّ: " وَلَهُ مُلَابَسَـــاتٌ شَـــتَّى ، يُلَابِسَ الْفَاعِلَ، وَالْمَفْعُولَ، وَالْمَصْـــدَر، وَالزَّمَانَ، وَالْمَكَانَ، وَالسَّبَبَ "[١].

[١] ـ السابق نفس الموضع.

ومِنْ هَذِهِ اَلْعَلَاقَاتِ إِسْنَادُ اَلْفِعْلِ إِلَى سَبَبِهِ لَا إِلَى فَاعِلِهِ اَلْحَقِيقِيِّ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ)[١].

وَذَلِكَ حَيْثُ أُسْنِدَ فِعْلُ "اَلْبِنَاءِ" إِلَى " هَامَانَ " وَهَامَانُ لَمْ يَبْنِ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا اَلْبَانِي حَقِيقَةً هُمْ اَلْعُمَّالُ ، وَلَكِنْ لِمَا كَانَ "هَامَانُ" هُوَ اَلْآمِرُ بِالْبِنَاءِ وَمُتَسَبِّبٌ فِيهِ أُسْنِدَ إِلَيْهِ اَلْفِعْلُ عَلَى طَرِيقِ اَلْمَجَازِ اَلْعَقْلِيِّ اَلَّذِي عَلَاقَتُهُ اَلسَّبَبِيَّةُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى : " (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) [٢]. فَقَدْ نُسِبَتْ زِيَادَةُ اَلْإِيمَانِ فِي اَلْآيَةِ الكريمة إِلَى آيَاتِ اَللَّهِ تَعَالَى، وَلَمَّا كَانَ اَلْأَصْلُ فِي زيادة اَلْإِيمَانِ وَنقصانه هُوَ اَلتَّوْفِيقُ اَلْإِلَهِيُّ اَلصَّادِرُ عَنْ اَللَّهِ تَعَالَى ، عُلِمَ أَنَّ زِيَادَةَ اَلْإِيمَانِ هُنَا بِالنِّسْبَةِ لِلْآيَاتِ مُجَازٌ عَقْلِيٌّ بِوَصْفِهَا سَبَبًا فِيهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا اَلْمَجَازُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: " يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ"[٣] فأغلب ما ذكره المفسرون في التعقيب على هذه اللآية أنَّ إسنادَ فعلِ "الأمر" إلى "الإيمان" على سبيل التهكم والاستهزاء، على نحو قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب: (أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ)[٤].

وخالفهم في ذلك ابن عاشور قائلًا:" وَالْأَمْرُ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ مَجَازًا فِي التَّسَبُّبِ، وَإِنَّمَا جَعَلَ هَذَا مِمَّا أَمَرَهُمْ بِهِ إِيمَانُهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَدَّعُوا ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا فَعَلُوهُ وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُتَصَلِّبُونَ فِي التَّمَسُّكِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، حَتَّى أَنَّهُمْ لَا يُخَالِفُونَهُ قَيْدَ فِتْرٍ، وَلَا يَسْتَمِعُونَ لِكِتَابٍ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ فَلَا شَكَّ أَنَّ لِسَانَ حَالِهِمْ يُنَادِي بِأَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ فِعْلًا إِلَّا وَهُوَ مَأْذُونٌ فِيهِ مِنْ كِتَابِهِمْ، هَذَا وَجْهُ الْمُلَازَمَةِ "[٥]

وبذلك يكون إسناد فعل الأمر إلى الإيمان في قوله تعالى:" " يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ" من المجاز العقلي الذي علاقته السببية، حيث أسند فعل(الأمر) إلى سببه وهو(

---

[١] ـ سورة غافر الآية ٣٦.

[٢] ـ سورة غافر الآية ٣٦.

[٣] ـ سورة البقرة الآية ٩٣.

[٤] ـ سورة هود الآية ٨٧.

[٥] ـ التحرير والتنوير ج١، ص٦١٢.

الإيمان) وهو إسناد مجازيٌّ ، لأنَّ " الإيمان " لا يأمر على سبيل الحقيقة، وإنما هو سببٌ في الفعل.

والأمثلة على علاقة السببية كثيرة، حتى قيل: إنَّها أكثرُ الوجوه استعمالًا في القرآن الكريم، وأشهر العلاقات ارتباطًا به، وأمثلتها متوافرة في حدود كثيرة لا تحُصى، ومعالمه منتشرة لا تُستقصي، إذ كثيراً ما يطلق هذا المجاز في القرآن مسندًا إلى السبب، وإنْ بدا العامل فيه الفاعل، ولكن التحقيق يبدي خلاف ذلك مما يوحي بطبيعة إرادة المجاز.

وقد يسندُ الفعلُ إلى زمانه؛ مجازًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ [1] وقوله:" اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ) [2] فمن الملاحظ في الآية الكريمة أنَّ النَّظم القرآنيَّ أسند "الإبصار" إلى "النهار" والنهار لا يُبصِرُ حقيقةً، وإنَّما هو زمن الإبصار، ومن ذلك أيضًا قولُ الشَّاعِرُ:

سَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً * وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تُزَوِّدِ

ففِي هَذَا البيتِ إسنادُ "الإبداءِ" إلَى "الأيَّامِ" ونَحنُ نَعلمُ أنَّه لَا يُمكنُ للأيَّامِ أنْ تُبدِيَ وتُظهِرَ, وإنَّمَا هِيَ زمانٌ لِحُصولِ "الإبْدَاءِ" وقَد أرادَ الشَّاعرُ حقيقةً أنْ يقولَ لمُخَاطَبِهِ: إنَّ حَوادِثَ الأيَّامِ ستُبدِي لَكَ ما لم تعرفه, فإسنادُهُ "الإبْدَاءَ" إلَى "الأيَّامِ" مجازٌ عقليٌّ, وبِمَا أنَّ الأيَّامَ جزءٌ مِنَ الزَّمَانِ, ومَحَلٌّ لِوقُوعِ الإبداءِ, تكونُ العلاقَةُ علاقَةً "زمانيّة".

ومن هَذَا قولُنا: " محمدٌ نهاره صائمٌ، وليلُهُ قائِمٌ", فإنَّ "الصَّومَ" أُسنِدَ إلَى "النَّهارِ" والنّهارُ لَا يصومُ, وإنَّمَا هُوَ زمانٌ للصِّيامِ, وأُسنِدَ "القِيَامُ "إلَى "اللَّيلِ" واللَّيلُ لَا يَقُومُ, وإنَّما يُقامُ فِيهِ, ونُلاحِظُ فِي هَذَا المثالِ أنَّه لَا يُوجَدُ فعلٌ يُسنَدُ إليهِ، وإنَّمَا اسمُ فاعلٍ, وهَذَا جائزٌ, لأنَّ اسمَ الفاعِلِ شبيهٌ بالفِعلِ فِي قُوّتِهِ، وَكَذَلِكَ اسمُ المفعولِ والمَصْدَرِ.

---

[1] ـ سورة يونس الآية ٦٧.

[2] ـ سورة غافر الآية ٦٢.

وقد يسـندُ الفعلُ إلى المكان الذي يقع فيه، كقولِنا: " نهرٌ جارٍ، وطريقٌ سـائرٌ، حيث أُسـندَ اسمُ الفاعل (جار) إلى النهر، والنهرُ لا يجري، ولكن يُجرى فيه، وكذلك إسناد "السير" إلى "الطريق" والطريقُ لا يسير حقيقة، ولكن يُسار فيه، ومن ذلك قوله تعالى:" وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) [١] حيث أُسـند "الجريانُ" إلى "الإنهار" والإنهارُ لا تجري، وإنما هي مكان لجريان الماء، ومن ثم فهو إسناد مجازيٌّ، علاقته المكانيةُ، ومن ذلك قول الشاعر:

مَلكْنـا فكـان العَفْوُ منَّـا سَـجيَّـةً فلمَّـا مَلَكْتُمْ سـالَ بـالـدَّمِ أبْطَحُ

فقَدْ أُسْنِدَ (سَيَلانُ الدمِ) إلَى "الأبطحِ" أيْ إلَى غيرِ فَاعِلِهِ؛ لأنَّ "الأبطَحَ" مكانُ سَيَلانِ الدَّمِ، وهُي لَا تسِـيلُ حقيقة، وإنَّمَا يَسِـيلُ مَا فيهِ وهُوَ الدَّمُ, وهوإسـنادٌ مجَازِيٌّ عَلاقَتُه "المكانيةُ".

وقد يُسـند المبنيُّ للمفعول إلى الفاعل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْـتُورًا﴾[٢]فالحِجَابُ فِي أَصـلِهِ سَـاتِرٌ, وليسَ مَسـتُوراً, وهنا نقولُ: أُسـنِدَ الوَصْـفُ المبنيُّ للمَفعولِ إلَى الفَاعِلِ, وكان حقّه أن يُسْـنَدَ الى المفعول: لأنَّ اسـم المعفول يطلبُ نائب فاعلٍ أي: مفعولاً، لا فاعلاً، فإذا أُسـند إلى الفاعل كانَ هَذَا مَجَازاً عَقليَّاً عَلاقَتُهُ "الفاعليَّةُ". ومثلُ الآيةِ المبارَكَةِ قولُهُ – تَعَالَى–: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[٣] والتقدير: آتيًا.

وقد يُسند ما بُني للفاعل إلى المفعول، وذلك نحو قوله تعالى: (حجتُهم داحضـةٌ) وقولـه: (وجوهٌ يومئـذ نـاعمـةٌ) وقولـه"(خُلق من مـاءٍ دافقٍ) وقولـه:(وجوهٌ يومئـذ ناضرةٌ)وقوله(فهو في عيشةٍ راضيةٍ)

فالمتأمل في الشـواهد السـابقة، يلحظ أنَّ ما بُني للفاعل قد أُسـند للمفعول على سـبيل المجاز العقلي، ففي الآيةِ الأولى أُسـند "الدحضُ" إلى "الحجَّة" و"الحجَّةُ" لا تكون داحضـةً، ولكن تكون مدحوضـة، وكونها الداحضـة من باب المجاز العقلي،

---

[١] ـ سورة البقرة الآية ٢٦.

[٢] ـ سورة الإسراء ٤٥.

[٣] ـ سورة مريم ٦١.

وكذلك الأمر في الآية الثانية؛ فقد أُســـند ما بُني للفاعل، وهو (التنعيم) إلى "الوجوه" وهي في الحقيقة مفعولٌ، لأنَّ "الوجوه" لا تكون "ناعمة" ولكن تكون مُنعَّمة، كما أنَّ "الماء"وهو" المنيُّ" لا يكون دافقا في الحقيقة، وإنما هو مدفوق، ومن ثمّ فإسناد التدفق إلى "الماء" من قبيل المجاز العقلي الذي علاقته الفاعلية، وكذلك الحال في الآيتين الآخيرتين، فـــ"النضرة" و"الرضى" لا يُتصور وقوعهما من "الوجوه" و"العِيشة" حقيقة، وإنَّما هو من قبيل المجاز العقلي، فالوجوه مُنضَّرة، والعيشة مرضيَّة؛ اسما مفعول.

ومن ذلك أيضًـاقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾[1] فـــ"الحرمُ" لَا يكونُ آمِنَاً, لأنَّ الإحسَـــاسَ بالأمنِ مِنْ صـــفاتِ الأحياءِ, وإنَّمَا هُوَ مأمون أو مُأمَّن, فاســـمُ الفَاعِلِ – هنَا – أُسنِدَ إلَى المفعولِ, وهَذَا مَجَازٌ عَقليٌّ عَلَاقَتُهُ "المفعوليَّةُ"

وقد يُســـند الفعلُ إلى مصـــدرِه، ومن ذلك قولنُا: فلانٌ جُنَّ جُنونُه، حيث أُســـند الفعلُ (جُنّ) إلى المصـــدر، وفي الحقيقة الجنونُ لا يُجنُّ، وإنَّما هو إســـنادٌ مجازيٌّ؛ قُصد به المبالغةُ في وصف الحدث، ومن ذلك قول الشاعر:

سَيَذكُرُني قَومي إذا جَدَّ جِدُّهُم * وَفي اللَيلَةِ الظَّلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ

فقد أســـندَ الجِدَّ إلى الجِدّ، أي الاجتهادِ، وهو ليسَ بفاعلِ له، بل فاعلُه الجادُّ – فأصـلـه: إذا جدَّ الجادُّ منهم ، أي اجتهدَ اجتهاداً، فحذفَ الفاعلَ الأصـليَّ وهو الجادُّ، وأسندَ الفعلَ(جدَّ) إلى (الجِدّ) وهو مصدرُ الفاعلِ الحقيقيّ, ولِهَذَا كانت علاقةُ الإسنادِ المجازيّ هُنَا هي "المصدريةُ".

[1] ـ سورة القصص ٥٧.

المجاز اللغوي:

عزيزي الداعيةُ ...لعلَّك وقفتَ على حقيقة المجاز في الإسناد، وأدركتَ العلاقاتِ والملابسـاتِ التي جَوَّزت أنْ يُسـندَ الفعلُ إلى غيرِ فاعله الحقيقي، والآن وصـل بنا الحديث إلى تجلية فكرة "المجاز" في اللغة، وأثرِ ذلك في فهم النَّصِّ القرآنيّ والبيان النبوي وسـائر كلام البشـر، حتى لا تحملَ كلامًا على حقيقته وصـاحبه يقصـد به التجوز، فما المجاز في اللغة؟

كلمةُ "الصلاة"–مثلًا –لها اصطلاحان أحدُهما لغويٌّ: والآخرُ شرعيٌّ: فالمراد بها لغةً: الدعاء، والمراد بها فى اصـطلاح الشـرع: أقوالٌ وأفعالٌ مفتتحةٌ بالتكبير مختتمةٌ بالتسليم.

فإذا اسـتعملها اللُّغويُّ بمعنى "الدعاء" فهى حقيقةٌ لغويَّةٌ عنده، وإذا اسـتعملها اللغويُّ فى المعنى الشرعيِّ" أقوال وأفعال.." فهى مجازٌ.

أما إذا اسـتعملها "الشـرعيُّ" فى المعنى اللغويِّ "الدعاء" فهى مجاز عنده، وإذا استعملها فى المعنى الشرعيِّ فهى حقيقة، ومن ثمّ قيل فى التعريف " فى اصـطلاح التخاطب "

وعلى ذلك فالمجاز اللغويُّ هو: الكلمةُ المُسـتعملةُ –أو الكلامُ المُسـتعملُ– فى غير ما وضـع له فى اصـطلاح التخاطب لعلاقةٍ وقرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الأصليِّ، ويظهرُ لنا من خلال تعريف "المجاز اللغويِّ" أنَّه نوعان:

أحدُهما: المجازُ المفردُ: والمرادُ به استعمال "الكلمة" فى غير ما وضعتْ له فى اصطلاح التخاطب؛ لعلاقة وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى.

الآخر: المجازُ المُرَكَّبُ : والمرادُ به استعمال "الكلام" فى غير ما وُضع له فى اصطلاح التَخاطُب؛ لعلاقةٍ وقرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ المعنى الأصليِّ.

كُلُّ ما هنالك أنَّ المجازَ المفردَ يكون فى كلمةٍ واحدةٍ، والمجازَ المركَّب يكون فى التركيب كلِّه.

أولاً : المجازُ المفردُ: والمرادُ به: المجازُ المرسلُ، والاستعارةُ، والفرقُ بينهما فى نوع العَلاقةِ؛ فعلاقةُ " الاسـتعارة " هى المُشـابهةُ ، وعَلاقةُ " المجاز المرسـل" غير

المُشـابهة، ويضـيق المقام في هذه الورقة البحثية عن تفصـيل مباحثهما، ويكفيك في ذلك مراجعةُ بعض كتب البلاغة التعليمية.

ويَكْفِني في هذا الشـأنِ أيضًـا أنْ أُوقِفك على بعض آثار "المجاز اللغوي" في الخطـاب الدعويّ، في جُلِّ وظـائِفِه التي أُجتُلـبَ من أجلها؛ فعمليـةُ "التخييل" التي تكتنفها الاسـتعارةُ تُنجزُ ما لم تُنجزه لغةُ الحقيقةِ، فبين جنباتِ أسـلوبِ "التخييل" يمارسُ الخطيبُ أو الشـاعرُ أو الأديبُ سـطوتَه اللغويةَ ويحتالُ في إثبات المعنى وإقناع المتلقي بما يراه هو لا بما ينبغي أنْ يقتنع به، فالليلُ قد أرخى سـدولَه ومدَّ صـلبَه وأردفَ أعجازَه عند امرئ القيس، والبحرُ يحاورنا ويردُّ علينا عند جبران في قصـيدة المسـاء، والعينُ تألفُ وتقلقُ عند خير الدين الزركلي، والمنيَّةُ تنشـب أظفارَها...إلخ حتى أضـحتْ لغةُ الصـحافةِ والإعلام ولغةُ الخطابِ الديني ولغةُ الاقتصـادِ والسـياسـةِ تَمتلُك من اللغة الاسـتعاريَّةِ ما لا يقلُّ قيمةً عن لغةِ الشـعر والأدبِ، وما ذلك إلَّا لقيمة الدورِ الذي تلعبه "الاستعارة" في إقناع المُتلقي، وقد أشار إلى ذلك المعنى الإمام عبد القاهر: " فليس تأثيرُ الاسـتعارةِ إذًا في ذاتِ المعنى وحَقيقَتِه، بل في إيجابِهِ والحُكْم به" [١]

أي أنَّ تأثيرَ الاستعارة يكمن في طريقةِ الإثبات التي كان بها المعنى، وهو هنا "التخييل والتصـوير" وكأنَّ المتكلمَ يتلطفُ ويحتالُ ويتلاعبُ في تأدية المعنى، يقول عبد القاهر: " وأمَّا "الاستعارةُ"، فسبَبُ ما تَرى لها من المزيّةِ والفخامَةِ، أَنَّك إذا قُلْتَ: "رأيتُ أسـدًا"، كنتَ قد تلطَّفْتَ لما أَرَدْتَ إثباتَه له من فَرْط الشَّـجاعةِ، حتى جعلْتَها كالشَّـيءِ الذي يَجبُ له الثبوتُ والحصـولُ، وكالأمرُ الذي نُصِـبَ له دليلٌ يَقطع بوجودِهِ؛ وذلك أَنه إذا كان "أَسـدًا" فواجبٌ أن تكونَ له تلك الشـجاعةُ العظيمةُ، وكالمُسـتحيلِ أو الممتنعِ أنْ يَعْرى عنها، وإذا صـرَّحتَ بالتَّشـبيه فقلتَ: "رأيتُ رجلاً كالأسـد"، كنتَ قد أَثبتَّها إثباتَ الشـيءِ يترجَّحُ بين أنْ يكونَ وبين أنْ لا يكونَ، ولم يكنْ مِنْ حديثِ الوجوبِ في شـيء"[٢] "وهكذا قياسُ "التمثيل"، تَرى المزيةَ أبداً في

[١] –دلائل الإعجاز ص٧١.
[٢] –دلائل الإعجاز ص٧٢.

ذلك تَقعُ في طريقِ إثباتِ المعنى دون المعنى نَفْسِـه، فإذا سـمعْتَهُم يقولون: إنَّ مِنْ شـأنِ هذه الأجناسِ أنْ تُكسِـبَ المعاني نبلًا وفضـلًا، وتُوجِبَ لها شَـرَفًا، وأن تُفخِّمها في نفوسِ السامعين، وتَرْفَع أَقْدارَها عند المخاطَبِين، فإنّهم لا يُريدون الشَّجاعةَ والقِرى وأشباهَ ذلك مِنْ مَعاني الكَلِمِ المُفْردةِ، وإنما يَعْنون إثباتَ معاني هذه الكلم لمن ثبت له ويخبر بها عنه" [1]

والمراد بـــ" الأجناس" في قوله: فإذا سمعْتَهُم يقولون: إنَّ مِنْ شأنِ هذه **الأجناسِ** أنْ تُكسِـبَ المعاني نبلًا وفضـلًا..." التمثيل والاسـتعارة والتخييل والكناية؛ أي أنَّ وظيفةَ هذه الأجناس تكمن في كيفية إثبات المعنى، فليس إثبات القدرة في قولنا: الله قادر، هو نفس الإثبات في قوله تعالى: " (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٢)

وهذا يؤكدُ أنَّ عمليةَ الإقناع تكمن في طريقةِ إثباتِ المعنى، فكلَّمَا أقامَ الداعيةُ والخطيبُ شاهدًا ودليلًا على كلامه كان أمكنَ للمعنى في قلوب المخاطبين، ومن هنا نلمح تقاربًا بين قياس "التشبيه" و"الاستعارة" و"التمثيل" حيث تقوم عملية التشبيه على قياس التماثل بين الطرفين، يزداد هذا التماثلُ حين ننتقل منه إلى دعوى "الاتحاد" بين الطرفين الذي نراه في الأسلوب الاستعاري، وهذا مما زاد الأسلوب الاستعاري قوة وتأثيرًا وإقناعًا، وقد أشـــار إلى هذا المعنى عبد القاهر: " وحكْمُ "التمثيلِ"- يقصـــد الاسـتعارة التمثيلية- حكْمُ "الاسـتعارةِ" سـواءٌ؛ فإنَّك إذا قلتَ: "أَراكَ تُقدِّم رِجْلاً وتؤخِّر أخرى"، فأَوجَبْتَ له الصـورةَ التي يُقْطَعُ معها بالتحيُّر والتردُّدِ، كان أبلغَ لا محالةَ من أنْ تجريَ على الظاهر. فتقولُ: قد جَعْلتَ تتردَّدُ في أمرِك، فأنتَ كمَنْ يقولُ: أَخْرجُ ولا أخرج، فيقدم رجلًا ويؤخر أخرى "[3]

---

[1] –دلائل الإعجاز ص٧١.

[2] –سورة الزمر الآية ٦٧.

[3] –دلائل الإعجاز ص٧٢، ٧٣.

نَخْلُصُ من ذلك أنَّ التعبيرَ المجازيَّ يفارقُ الكَذِبَ؛ فالكاذبُ لا يُقيمُ دليلًا على كذبه، أمَّا المُتجوزُ في اللغة أو الإســناد فلا بدَّ له من عَلاقةٍ وقرينةٍ مانعةٍ من حملِ الكلام على حقيقته.

وخِتامًا...لا بدَّ أنْ يكون الداعيةُ على دِرايةٍ بأُســلوبي التعبير" الحقيقيّ" و" المجازيّ" حتَّى تظهر قدرتُه البلاغيَّةُ والدعويَّة على التواصــل؛ فلا يُخاطِبُ الداعيةُ الجمهورَ بالتعبير المجازي إذا كان الجمهور منكرًا للمجاز أو جاهلًا به، ومن هنا قيل في التعريف: استعمال الكلمة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، فـ" اصطلاح التخاطب" هو المحكُّ والمعيار الذي يقيس كل من البلاغي والداعية كلامه عليه، ولا شــكَّ أنَّ معرفة حال المخاطب تُســهم في نجاح الخطاب الدعويّ وتُؤتي ثمارَه المرجوةَ...فلا يكون الخطيبُ ضحيةً لسوء فهم السامع، ولا يكون السامعُ ضحية لسوء إفهام ونطق الخطيبِ.

وكذلك في عملية التواصــل لا بدَّ من مراعاة حال المُخاطَبِ" الجمهور" لأنَّ الجمهورَ ليســوا على درجة واحدة؛ فمنهم المؤيّدُ للخطيب ومنهم المُعارضُ، ومنهم المُحِبَّ له ومنهم المُبغِض، ومنهم العالِمُ ومنهم المُتعالِم، ومنهم الذكرُ ومنهم الأنثى، ولكلٍ من هذه الأنماطِ ما يناسبُه ويلائمُه؛ فخطابُ الرجالِ غالبًا لا يصــلحُ للإناث، والعكس، وخطابُ المُســالِم لا يصــلحُ للمُعانِد، وكما أنَّ العاميَّ من الناس يناســبه العاميُّ من الألفاظ، والغريبُ الوحشيُّ من الألفاظ يناسب الوحشيَّ من الناس، فكذلك حال المعاني تختلف باختلاف المتلقي، فمنهم من تكفيه اللَّمحَةُ الدَّالَّةُ، ومنهم ما لا يُؤثر فيه إلَّا الكشفُ والمصارحةُ، فالعبرةُ في عمليَّة التواصل بين الخطيب وجمهوره هي البلوغُ بالمعنى إلى قلب السامع، واضطراره إلى الفهم والتسليم.

الخاتمة

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

فقد شَغَلَتْ قَضِيَّةُ اَلْإِعْجَازِ اَلْقُرْآنِيِّ عُقُولَ اَلْمُفَسِّرِينَ وَالْمُحْدِثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفُقَهَاءِ، وَبَذَلُوا فِي ذَلِكَ اَلنَّفْسَ وَالنَّفِيسَ، وَصَرَفُوا إِلَى ذَلِكَ اَلْهِمَمَ اَلْعَوَالِي، فَتَفَاوَتَتْ أَقْدَارُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ بِمِقْدَارِ عِلْمِهِمْ وَإِحَاطَتِهِمْ بِوُجُوهِ إِعْجَازِهِ، وَمِنْ هُنَا كَانَت حَاجَةُ كُلِّ إِمَامٍ وَدَاعِيَةٍ وَمَطْلَبُ كُلِّ مَبْلَغٍ عَنْ اَللَّهِ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى وُجُوهِ إِعْجَازِ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ فَبِإِعْجَازِهِ تَصدُقُ نُبُوءَةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَمِنْ خِلَالِ القرآن الكريم كانت اَلتَّشْرِيعَاتُ اَلْإِلَهِيَّةُ وَالْمُعْتَقَدَاتُ الدِّينيَّة، وإذا كان لي من كلمة أقولها في نهاية هذه الورقة البحثية فهي:

١– لا سبيل إلى معرفة وجوه إعجاز القرآن الكريم البلاغية إلا بتَدَبُّرِ مَعَانِي اَلْقُرْآنِ وَفَهْمِ أَسَالِيبِهِ وَالِاهْتِمَامِ بِتَنْمِيَةِ الذوق البلاغي؛ لِمَا يُمَثِّلُهُ اَلذَّوْقُ اَلْبَيَانِيُّ مِنْ رَكِيزَةٍ أَسَاسِيَّةٍ فِي فَهْمِ كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِ اَلْعَقِيدَةِ اَلَّتِي قَدْ تَلْتَبِسُ عَلَى اَلنَّاسِ ، وَكَشْفِ اَلْأَحْكَامِ اَلشَّرْعِيَّةِ اَلَّتِي لَا تَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ اَلنَّصِّ.

٢– قَضِيَّةُ اَلتَّأْوِيلِ في البلاغة العربية " اَلْمَجَازِ " قائمة في مجملها عَلَى اَلتَّوَاصُلِ، وَالْمُرَادُ بِالتَّوَاصُلِ: مُخَاطَبَةُ اَلْجُمْهُورِ بِمَا يَعْرِفُ، فَلَا يُخَاطَبُ بِـ"الْمَجَازِ" مَنْ لَا يَعْرِفُ اَلْمَجَازَ، وَمِنْ هُنَا أَيْضًا اِشْتَرَطَ اَلْبَلَاغِيُّونَ مَعْرِفَةَ اِصْطِلَاحِ اَلتَّخَاطُبِ: أَيْ مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ اَلنَّاسُ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي تَعْرِيفِ اَلْمُتَأَخِّرِينَ لِلْمَجَازِ.

٣– أنَّ ." اصطلاح التخاطب" هو المحكُّ والمعيار الذي يقيس كل من البلاغي والداعية كلامه عليه، ولا شكَّ أنَّ معرفة حال المخاطب تُسهم في نجاح الخطاب الدعويّ وتُؤتي ثمارَه المرجوةَ؛ ضرورة أنْ يكون الداعيةُ على دِرايةٍ بأُسلوبي التعبير" الحقيقيّ" و" المجازيّ" حتَّى تظهر قدرتُه البلاغيَّةُ والدعويَّة على

التواصل؛ فلا يُخاطِبُ الداعيةُ الجمهورَ بالتعبير المجازي إذا كان الجمهور منكرًا للمجاز أو جاهلًا به.

٤- قد يكون الخطيبُ ضحيةً لسوء فهم السامع، وقد يكون السامعُ ضحية لسوء إفهام ونطق الخطيبِ، ولذا فالحكم على الخطاب الدعويّ بالنجاح أو الإخفاق يأتي بعد مراعاةِ حالِ الداعية وإدراك نوازعِه النفسيَّةِ وخلفيتِه الدينيَّةِ والتاريخيَّةِ والاجتماعيّةِ والعلميَّةِ والثقافيَّةِ بل إنْ شئتَ فقلْ ومراعاةُ فلسفتِه ونظرتِه إلى الأمور، وكلها أمور مهمة في الخطاب الدعوي، وإدراكُنا لمثل هذه الخلفيات والملابسات تجعلنا نطمئن إلى ما يلقيه الداعية من خطابات، أو بالعكس تجعلنا نضعه موضع المساءلة والتقويم.

٥- مراعاة حال المُخاطَبِ" الجمهور" لأنَّ الجمهورَ ليسوا على درجة واحدة؛ فمنهم المؤيّدُ للخطيب ومنهم المُعارضُ، ومنهم المُحِبَّ له ومنهم المُبغِض، ومنهم العالِمُ ومنهم المُتعالِم، ومنهم الذكرُ ومنهم الأنثى، ولكلٍ من هذه الأنماطِ ما يناسبُه ويلائمُه؛ فخطابُ الرجالِ غالبًا لا يصلحُ للإناث، والعكس، وخطابُ المُسالِم لا يصلحُ للمُعانِد.

والحمد الله على كلِ حالٍ وأعوذُ بالله من حالِ أهلِ النارِ، وأسألُه -سبحانه وتعالى- التوفيقَ والسدادَ والإخلاصَ والغنيمةَ من كلِ برٍّ والسلامةَ من كلِ إثمٍ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وإخوانِه من الرسل.

الأستاذ الدكتور/ صالح أحمد عبد الوهاب
أستاذُ البلاغةِ والنقدِ في كليَّةِ البناتِ الأزهريةِ بالعاشرِ من رمضانَ
ووكيلُ كليةِ العلومِ الإسلاميَّةِ للطلابِ الوافدين
جامعةُ الأزهرِ – مصر.
https://www.youtube.com/channel/UCSUJyz_yZLfFHnc9wyFoKiQ

المصادر والمراجع

-إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني- الناشر : دار المعارف – القاهرة – تحقيق : السيد أحمد صقر.

-الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السـيوطي- تحقيق/ محمد أبو الفضـل إبراهيم- مكتبة دار التراث- القاهرة-

-التحرير والتنوير – تأليف: الإمام محمد الطاهر بن عاشور- دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس- بدون تاريخ.

-الخصائص -المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة .

-السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمتكوب-تأليف/ محمد سالم أبو عفرة- مكتبة الآدب- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤٣١هـ٢٠١٠م .

-الشعر والشعراء المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) الناشر: دار الحديث، القاهرة عام النشر: ١٤٢٣ هـ .

-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز- تأليف/ يحى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني- تحقيق/ محمد عبد السلام شاهين- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

-الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري المؤلف: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) المجلد الأول والثاني: تحقيق/ السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – الطبعة الرابعة .

-تفسيرالكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل- تأليف/ الإمام إبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ- تحقيق/ محمد عبد السلام شاهين- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

-دلائل الإعجاز_ تأليف: الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني- تحقيق: الشـــيخ محمود محمد شـــاكر- مطبعة المدني بالقاهرة- الطبعة الثالثة- ١٤١٣هـ ١٩٩٢م

-ديوان امْرُئ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م) -تحقيق: عبد الرحمن المصـــطاوي الناشـــر: دار المعرفة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

-طبقات فحول الشعراء - تأليف: محمد بن سلام الجمحي - تعليق: الأستاذ/ طه أحمد إبراهيم- دار الكتب العلمية بيروت- ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

-عيار الشـــعر المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (المتوفى: ٣٢٢هـ) المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.

-كتاب الصـناعتين- المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سـهل بن سـعيد بن يحيى بن مهران العســكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـــــ) المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضـل إبراهيم الناشـر: المكتبة العنصـرية - بيروت عام النشر: ١٤١٩ هـ .

-مفتاح العلوم_ تأليف أبي يعقوب بن أبي بكر بن علي السكاكي_ الناشر: مطبعة الحلبي- مصر- الطبعة الثانية- ١٤١١هـ١٩٩٠م

-مفتاح تلخيص المفتاح للعلامة شـــمس الدين محمد بن مظهر الخطيب الخلخالي المتوفي ٧٤هـ- تحقيق/ هاشم محمد هاشم- المكتبة الأزهرية للتراث- مصر- الطبعة الأول- ٢٠٠٧.

الفهرس

ملخص البحث ١٩٤
اَلْمُقَدِّمَةُ ١٩٦
اَلْمَطلبُ اَلْأَوَّلُ: ١٩٨
اَلْقَوَاسِمُ اَلْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ اَلْبَلَاغَةِ وَالدَّعْوَةِ " قضية الإعجاز القرآني" ١٩٨
اَلْمَطلبُ اَلثَّانِي : ٢٠٨
قَضِيَّةُ التَّأْوِيلِ"اَلْمَجَازِ" وَأَثَرُهَا فِي اَلدَّعْوَةِ : ٢٠٨
الخاتمة ٢٢١
المصادر والمراجع ٢٢٣